علاقة الرؤى والأحلام بالنبوات عند مفكري الإسلام

محمد علي الجندي*

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تعرّف أبعاد العلاقة القائمة بين الرؤى والأحلام وصلتها بالنبوات في الفكر الإسلامي. ولتحقيق هذا الهدف، فقد اتجهت الدراسة إلى تتبع منابع هذه الجدلية في الفكر الشرقي القديم، ثم في الفكر اليوناني، ثم انتقال هذه المنابع وأثرها في عرض مفردات هذه الجدلية عند مفكري الإسلام من متكلمين وفلاسفة ومتصوفة.

وتعمد الدراسة إلى إبراز الجانب المتعلق بالإسهام الإسلامي بصورة مفصّلة، لبيان حجية الرؤى والأحلام، وصلتها بالنبوة، ومدى توافقها مع الكتاب وصحيح السنة، ولتؤسس لنا –في الوقت نفسه– منطلقات علمية ومنهجية لفهم هذا الموضوع الشائك، الذي يدخل في دائرة دراسة الغيبيات.

الكلمات المفتاحية: الرؤيا، الحلم، تفسير الأحلام، النوم، النفس، النبوة.

Visions and Dreams and their connection to Prophethood in Islamic Thought

Abstract

This study aims to explore the connecting dimension, between visions and dreams and their connection to Prophethood in Islamic thought. To achieve this aim, the study had reviewed the sources of the debate on this issue, including the oriental religious thought, Greek thought, and their effects upon Muslim theologians, philosophers and sophists).

The study also discusses Islamic contribution thoroughly to show how visions and dreams were presented in the noble Quran and authentic Sunna of the Prophet, and to lay down a knowledge base and methodology to understand this issue that is part of unseen domain.

Keywords: vision, dream, interpretation of dreams, sleeping, psychic, Prophethood.

* أستاذ الفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم، جامعة المنيا، جمهورية مصر العربية. البريد الإلكتروني: mohamedelgendy45@yahoo.com

تم تسلّم البحث بتاريخ ٢٠١١/٥/٢١م، وقُبل للنشر بتاريخ ٢٠١٢/١/٢١م.

مقدمة:

موضوع الرؤى والأحلام حبيب إلى نفوس الناس، متى صادفوا باحثاً عرض لدراستها، وثب إلى خواطرهم الاستفسار عن حقيقتها، والسؤال عن مدى صدقها، وكشفها عن وجوه الغيب، وإذا ما كانت الرؤيا الصادقة وحياً إلهياً أم لا.

وقد تعرّضتْ للإجابة عن مثل هذه التساؤلات أقلامٌ غير متخصصة بصورة غير علمية، وبعيدة عن روح الإسلام؛ وذلك بهدف إشباع رغبة القارئ لمثل هذا اللون من الدراسات، التي تركز على رموز تفسير الأحلام، وتأويل الرؤى ومعانيها، ومدى ارتباطها بالغيب، غير أن الأمر لم يخل أيضاً من دراسات جادّة ظهرت في هذا الموضوع، وغطَّت مساحة لا بأس بها من بعض جوانبه المختلفة، خاصة ما يتعلق منها بدراسات الدكتور توفيق الطويل رحمه الله.[١]

ونظراً إلى ارتباط موضوع الرؤى والأحلام بالنبوات في العقيدة الإسلامية (القرآن الكريم، السنة النبوية المطهرة)؛ فقد حفلت المكتبة العربية بمؤلفات تتناول الموضوع من منظور عقدي دراسةً وتحقيقاً، وأصبحت تحتل -دون منازع- الجانب الأكبر من المؤلفات المتداولة الآن،[٢] غير أن هذه الدراسات -في جملتها- أغفلت عرض آراء أصحاب الاتجاهات الأخرى، كالفلاسفة والمتكلمين والمتصوفة بالتفصيل المناسب.

هذا بالإضافة إلى ما ظهر من المؤلفات السيكولوجية المتنوعة التي عالجت موضوع الأحلام ضمن مباحثها المختلفة؛[٣] إذ يدخل الموضوع في دائرة الدراسات المتصلة بالتحليل النفسي، ودراسة الجانب اللاشعوري من النفس الإنسانية، على أساس أن الحلم

[١] منها على سبيل المثال لا الحصر: كتاب الأحلام، العلم بالغيب في العالم القديم، التنبؤ بالغيب عند مفكري الإسلام. ومن الدراسات الحديثة، الدراسة الأكاديمية الآتية:
- العتيبي، سهل. "الرؤى عند أهل السنة والمخالفين"، (رسالة دكتوراه، الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٤هـ).

[٢] منها على سبيل التمثيل: كتاب تعبير الرؤيا لابن سيرين، والنامج في تعبير الرؤيا لابن غنام، وغيرها الكثير.

[٣] من هذه الدراسات:
- Frued, Sigmund. *Interpration of Dream* ,oxford (1923).
- Forester(M). *Studies on dreams* (1921).

ما هو إلا تعبير عن رغبة مكبوتة. وهي مؤلفات غطت في بابها جانباً لا بأس به من الدراسة.

والطابع العام الذي يغلب على دراسة موضوع الرؤى والأحلام، هو قلة ما كتب مباشرة في هذا الموضوع، بالإضافة إلى ندرة مصادره؛ فمعظم الآراء التي تعالج الرؤيا منتشرة في ثنايا الحديث عن أحوال النفس وقواها عند الفلاسفة والمتكلمين، وفي الكشف الصوفي والإلهام في المعرفة الذوقية عند الصوفية.

وبحثُنا للموضوع في جوانبه المتشعبة في شتى العصور، وعند مختلف المفكرين من متكلمين وفلاسفة وصوفية، يُعَدّ جديداً في بابه، ونأمُل أن يمثّل البحث تكاملاً بين عناصر الموضوع في جانبيه الديني والفلسفي.

أولاً: علاقة الرؤيا والحُلْم (الحُلُم) بالنبوة

يعرّف بعض الباحثين المنام بأنه مجموع ما يراه أو يبصره النائم من أشياء، أو ما يأتي له دون إرادة أو وعي واضح؛ فالمنام ليس نتاج العقل والقصد. ولفظة "منام" هي أكثر تداولاً على الألسنة وعلى الصعيد الشعبي. فالمنام هو الأصل والمصطلح الأعم، وهو ينقسم إلى رؤيا وحُلم.[٤]

والرؤيا لغةً هي ما يراه الإنسان في منامه، وتأتي على وزن "فُعْلى"، كالسُّقيا والبُشرى. يقول "صاحب اللسان": "الرؤيا: ما رأيته في منامك، وهي الرؤى. ورأيت عنك رؤى حسنة، حلمتها... ورأى في منامه رؤيا على فعلى بلا تنوين، وجمع الرؤيا رؤى بالتنوين مثل رُعى."[٥]

نلاحظ من التعريف السابق أن ابن منظور في تعريفه للرؤيا يجعلها مرادفة للحُلم، وهو يستخدم كليهما بمعنى واحد في التعبير عمّا يعرض للنائم في منامه، غير أننا نلاحظ

[٤] زيعور، علي. "نحو المدرسة العربية في علم تفسير المنامات وفي علم الرموز"، **مجلة دراسات عربية**، ع٦، ١٩٨٦م، ص٢٨.

[٥] ابن منظور، محمد بن مكرم. **لسان العرب**، بيروت: دار صادر، ١٩٥٥م، ج١، ص٢٩٧. انظر أيضاً:
- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. **القاموس المحيط**، بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧ه، ص٦٥٨.

أن هناك فرقاً بين الرؤيا والحلم. فالحُلم: هو ما يراه النائم. قال الجوهري في "الصحاح": "الحُلم بالضم ما يراه النائم لقول منه: حَلَم بالفتح واحتلم، وتقول حَلَمْتُ بكذا، وحلمته أيضاً."[٦] والحلم بهذا المعنى اللغوي: هو ما يراه الإنسان في منامه من الخير والشر؛ فهو مرادف للرؤيا، إلّا أنه غلب في اصطلاح أهل السنة استعمال الرؤيا في الخير والشيء الحسن، وغلب استعمال الحلم على خلاف ذلك. ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ﴾ (يوسف: ٤٤). ودلّ على هذا التعريف أحاديث كثيرة، منها ما أخرجه البخاري من حديث أبي قتادة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الرؤيا الصادقة من الله والحُلم من الشيطان."[٧]

يذهب أهل السُّنة إلى أن الوحي هو الإعلام السريع الخفي؛ إمّا في اليقظة، وإمّا في المنام، وأن رؤيا الأنبياء وحي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في الصحاح. عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها-: "قالت أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك... ."[٨] وعلى ذلك، فالرؤيا الصادقة عند أهل السُّنة أول مراتب النبوة، وهي متفاضلة في الصحة عن الأتقياء، كقول ابن حزم: "ما كان في الرؤيا صادقاً فهو من قبل الله تعالى، ثم تتفاضل في الصحة والنقاء من الأضغاث فيكون أعلاها منزلة من ذلك من ستة وعشرين جزءاً من النبوة إلى جزء من سبعين جزءاً من النبوة."[٩]

أمّا بالنسبة إلى موقف الفلاسفة من الرؤيا فنجد الكندي في رسالته "النوم والرؤيا" يعرّف الرؤيا بأنها "استعمال النفس والفكر ورفع الحواس. وللنفس وظيفة كبيرة عنده؛

[٦] الجوهري، إسماعيل بن حماد. **الصحاح**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت: دار العلم للملايين، ط١، ١٣٧٦هـ، ج٥، ص١٩٠٣.

[٧] البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، بشرح الكرماني، مصر: المطبعة البهية، ١٣٥٦هـ، كتاب: التعبير، باب: الرؤيا من الله، ج٤، ص٢٩٦.

[٨] المرجع السابق، ج١، ص٢٣.

[٩] ابن حزم الأندلسي، علي بن محمد. **الأصول والفروع**، القاهرة: دار النهضة، القاهرة، ط١، ١٩٧٨م، ج١، ص٢٤٣.

فهي تعرف كل ما في العالم إذا كانت تامة الصقل والنقاء، بحيث تنعكس المعلومات فيها كما تنعكس الصور في المرايا... وهذه هي الرؤيا النبوية."[١٠] ويرى الكندي أن الحلم هو أضعف أنواع الرؤيا، وأنه خليط من الفكر والصور، ناجم عن تشويش الذهن في اليقظة، فيحدث له في النوم.

والفارابي هو أول من فصّل القول في النبوة، فَعدَّ الرؤيا الصادقة شعبةً من شعب النبوة، تمتُّ إلى الوحي بصلة، وتتحد معه في النهاية، وإن اختلفت عنه في الوسيلة. وقد عقد الفارابي في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" فصلين متتالين في "سبب المنامات"، وفي "الوحي ورؤية الملَك."[١١] وقد تأثّر ابن سينا بآراء الفارابي في موضوع النبوة والرؤيا الصادقة، فحرّر رسالة في موضوع "إثبات النبوات" ضمن كتابه "تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات،"[١٢] حاول فيها تأويل بعض النصوص الدينية لكي تتفق مع نظريته الفلسفية، كما سنرى لاحقاً.

أما ابن رشد فقد أعطى الرؤى وصلتها بالنبوة اهتماماً لا بأس به من فلسفته؛ فهو ينسب الرؤيا إلى قوة المخيلة، سواء كانت صادقة أو كاذبة. والرؤيا الصادقة عنده تدل على معرفة وجود شيء مجهول بالنسبة إلينا في الآن، ويحدث عنه تصديق في المستقبل. وهي ناتجة عن عطاء، وهذا النوع من العطاء شريف جداً ومنسوب إلى مبدأ رفيع، بل ذلك من أمر إلهي كريم وعناية تامة بالإنسان الذي يحصل له هذا النوع من المعرفة، وماهية النبوة داخلة في هذا الفرع من العطاء.[١٣]

وإذا ما انتقلنا إلى الصوفية وجدنا أن أتباعها يربطون بين الرؤيا والنبوة، شأنهم في ذلك شأن فلاسفة الإسلام، وإن اختلف المنهج عندهم. فالصوفي يولي الأحلام أهمية

---

[١٠] الكندي، يعقوب بن إسحق. **رسائل الكندي الفلسفية**، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريده، القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٥٩م، ج١، ص١٠٦.

[١١] الفارابي، أبو نصر محمد بن محمد. **آراء أهل المدينة الفاضلة**، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٩٤٨م، ص٤٧-٥٣.

[١٢] ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله. **تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات**، القاهرة: نشرة عبد السلام هارون، ١٩٠٨م، ص٤٦.

[١٣] ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد. "المقالة الثانية" ضمن: **"الحاس والمحسوس"**، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٤م، ص٢٢٤ وما بعدها.

كبيرة، ويرى أنها نافذة على الروح، أو هي جسر بينه وبين الغيب. وفيما يخصّ موقفهم من النبوة، فقد ربطوا بينها وبين الولاية؛ فبعضهم جعل النبوة صنو الولاية، وبعضهم الآخر (الغلاة) رفعها فوق مرتبة النبوة. أمّا المعتدلون منهم فجعلوا الولاية دون النبوة، على ما سيأتي تفصيله.

ثانياً: أصول دراسة الرؤى والأحلام ومصادرها

١. الديانات الشرقية القديمة:

يذهب بعض مؤرخي العقائد والأديان[١٤] إلى أنَّ الأحلام هي أصل نشأة العقيدة عند الإنسان، فاهتداء الإنسان إلى الروح مردّه الرؤى والأحلام، واهتداؤه إلى الإيمان بوجود الروح على أي معنى من المعاني التي فهمها، فتح أمام عقله نافذة على ما وراء المحسوس. فهو يرى في منامه رؤى سعيدة وأحلاماً مفزعة، فيستيقظ بعد الرؤيا يبحث عما أسعده فلا يجد شيئاً، ويصحو فزعاً بعد حلم مزعج فلا يرى ما رآه في حلمه، ويفكر في ما وراء الحس، أين ذلك الذي جعله يبتهج؟ وأين ذلك الذي أفزعه؟ وقد يرى في منامه مَن يضربه ويجرحه، ولكنه لا يجد ذلك عند الاستيقاظ، كما لا يجد آثاراً للجروح والضرب، وقد يرى أيضاً ما يبهجه، ولكن صحوه يضع حداً لما سرّه ولما ساءه وأفزعه.[١٥]

إذن؛ هناك أشياء مجهولة وراء الحس!

وبالمثل، فعندما تواجهه مشكلة الموت في المنام، لا يجد لها تفسيراً صحيحاً، وأقصى ما يصل إليه إدراكه -بعد محاولات عدّة من إعمال الفكر والتأمّل- هو أن هناك عالماً مجهولاً وراء الحس والمشاهدة، وأن وراء الحس "روحاً" غير الجسد.[١٦]

---

[١٤] انظر على سبيل المثال لا الحصر:
- عبد العال، محمد جابر. **في العقائد والأديان**، القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٧١م.
- المدور، طه. **بين الديانات والحضارات**، القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٦م.

[١٥] عطار، أحمد عبد الغفور. **الديانات والعقائد في مختلف العصور**، مكة المكرمة: د.ن، ١٤٠١هـ، ج١، ص٤٨.

[١٦] المرجع السابق، ج١، ص٤٩.

وهذا الإدراك أو الاهتداء إلى فكرة الروح كان أولى الخطوات لانطلاق العقل البشري وراء التفكير في المجهول (الغيبي) وما وراء الحس والطبيعة ثم البحث فيه.[١٧] ومن ثم نشأ التفكير الديني لدى الإنسان، وتبع ذلك البحث عن فكرة الألوهية من التعددية إلى الوحدانية.

أ. **ديانة بابل** (الكلدان ٦٧١ ق.م):

أولت الديانة البابلية الأحلام أهمية كبيرة، فقد شاع عندهم ربط الحلم بالعالم المجهول (الغيب)، كما اشتقوا من الجذر اللغوي (شوتو: شيتو) لفظه "حلم" ولفظه "نون"، أو النوم والمنام. وقالوا من جهة أخرى "بوجود إله خاص بالحلم سموه. "زقيقوا" من "زاقوا"؛ أي نفخ، الذي يعني النفس والذي يذكّر بالنفس، وذلك (الإله المعبود) الذي يفرض الصدق عند رواية الحلم وعند تفسيره."[١٨]

ويوجد في التراث البابلي أيضاً مفتاح للأحلام (أي تفسير)؛ "إذ إنَّ إعطاء الحاكم ماءً للشرب –مثلاً– يدل على حياة مديدة، ويدل الضحك على الوقوع في المرض، كما تدل أحلام البول على الإنجاب والرزق... وهكذا."[١٩] ومن الظواهر المتشابهة، اعتقاد البابلي –كما هو الحال عندنا في التراث – بأنَّ قصَّ الحلم يحرّر من عواقبه الوخيمة، وقد أقام البابليون علاقة بين الحُلم والتنبؤ وجعلوه رسالة إلهية.

ب. **الديانة البوذية** (٥٨٠ ق.م):

أول ما يصادفنا في الديانات الشرقية القديمة الديانة البوذية التي يؤمن معتنقوها، خاصة طائفة "اليوبانيشاد"[٢٠] بأن الذين يتحدون بالله تتحقق لهم المكاشفة، والاطلاع

---

[١٧] وإلى ذلك أيضاً يذهب إلياس بلكا في كتابه: "**العقل والغيب**"، حينما يعرض لدراسة الغيبيات بوصفها أموراً يستعصي على العقل إدراكها، بل ويقف أمامها عاجزاً. انظر:
- بلكا، إلياس. **الغيب والعقل**، هرندن- واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، ٢٠٠٨م، ص١٧١ وما بعدها.

[١٨] زيعور، **نحو المدرسة العربية من علم تفسير المنامات**، مرجع سابق، ص١٣١.

[١٩] المرجع السابق، ص١٣٢.

[٢٠] اليوبانيشاد: مصطلح مكوّن من كلمتين: يوبا بمعنى (قريباً)، ونيشاد بمعنى يجلس، وأطلق في الأصل على من "يجلس قريباً"، من المعلم أو الحكيم يتلقى عنه. انظر:

على الغيب، والتنبؤ به، والإفادة منه في تفسير المرائي المختلفة، إبان النوم. أمّا في حال الصحو فيبدو ذلك جلياً في ما كانوا يمارسونه من طقوس العرافة والنجامة ونحوها.[٢١]

وفي البوذية أيضاً دعوة صوفية أخرى مماثلة إلى مجاهدة النفس وترويض الإرادة، ليحدث للنفس إشراقها الصحيح، وتعتري الإنسان نورانية تمكّنه من الوصول إلى حقائق الأشياء؛ سواء في حال الصحو أو المنام دون أن يرنق (يكدر) نظره أي درن من أدران الجسد.[٢٢]

ت. الديانة المصرية القديمة (٥٥٨ ق.م):

يرى كهنة الدولة المصرية القديمة أن رؤيا "هرمس"[٢٣] تحوي سرّ تعلم أمور الحياة والموت وخلود الروح. وسوف نكتفي هنا بإبراز نص هذه الرؤيا بوصفها دليلاً على مكانة الرؤيا في الديانة المصرية القديمة، ومصدراً لإلهام الأنبياء والكهنة في تلقي المعارف والعلوم المختلفة؛ إذ "رأى هرمس يوماً وهو في حالة انخطاف روحي أن الكون والعوالم متجلية أمامه. والحياة منتشرة في باطن كل شيء، فصاح به صوت النور الأقدس المالئ للكون جميعه، وكاشفه بالسر قائلاً: إن النور الذي رأيته هو الروح الإلهي الحاوي سرّ كل شيء، والمتضمن رسوم كل الكائنات. أما الظلمة فهي العالم المادي العائش فيه بنو الأرض، والضياء المتدفق من الأقاصي هو العقد الإلهي وباتحادهما تكون الحياة."[٢٤]

وقد انعكست هذه الرؤيا على روح الإنسان، فوضعها -كما بشّر حلم هرمس- على وجهين؛ "الأول: اعتناقها في المادة حين تشبثت بها. والثاني: ترقيها من النور إذا أدركته ووصلت إليه المعرفة، والأنفس هي نبات السماء، وسَفَرُها تجربة لها."[٢٥]

- عطار، **الديانات والعقائد في مختلف العصور**، مرجع سابق، ص١٠٠.

[٢١] المرجع السابق، ج١، ص٥٣.

[٢٢] حمدي، عبد الرحمن. **الأرض: عقائدها وأساطيرها**، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م، ص٣٢.

[٢٣] هرمس في بعض الآراء هو إدريس عليه السلام، وقد بلغ من الحكمة والعلوم الإلهية والطبيعية والفلك مبلغاً عظيماً حتى ألّهه المصريون فيما بعد. وهو الذي علمهم المساحة والفلك والعلوم الرياضية والإلهية والطبيعيات، وله كتب احتفظ بها الكهنة كنزاً سرى تحت أيديهم. انظر:

- المنوفي، أبو الفيض. **الدين والفلسفة والعلم**، القاهرة: مكتبة مدبولي، د.ت، ص٦٥.

[٢٤] المرجع السابق، ص٦٥.

[٢٥] المرجع السابق، ص٦٥.

وبذلك تقسم هذه الرؤيا النفوس قسمين: "النفوس الشريرة وهي التي تبقى متعلقة في الأرض بأغلالها ورغباتها الأرضية. أما الأنفس الفاضلة فترقى متطايرة إلى الأفلاك العلوية لتحظى برؤية المعاني الإلهية وتتشبع منها بقوة ما امتلكته من الاختيارات والمعارف، وتصبح هي ذاتها بعد ذلك نيّرة لامتلاكها النور الإلهي في جوهرها وأفعالها."[٢٦]

ث. الديانة الأورفية (٢٨٨ ق.م):[٢٧]

يعتقد أتباع هذه الديانة بأن النفس لا تستيقظ ولا تدب فيها الحياة حتى تتجرّد من علائق الجسد، ولا يكون هذا إلّا في أثناء النوم؛ إذ تتصل بالكائنات الخالدة، وتتناول أطراف الحديث معها، وتتلقى من السماء مراسلات يصعب تحصيلها نهاراً، وقد تأثّر بهذه النظرية كثيراً "بندار" "وأسخيلوس" اللذان كانا على اتصال بالأورفية والفيثاغورية. يقول "بندار": إن النفس تستيقظ عند نوم الجسم وتتجلى لها في يقظتها الكثير من الرؤى."[٢٨] ويقرّر "أسخيلوس" بأن عين النفس إبان النوم تزداد ضياء، ولكنها في أثناء النهار لا تتنبأ بقضاء الإنسان.[٢٩]

٢. الأصول اليونانية:

تشكّل الأصول اليونانية، في موضوع الرؤى والأحلام، المصدر الرئيس الذي انحدرت منه معظم المعلومات المتعلقة بهذا الموضوع؛ إذ انتفع مفكرو الإسلام، وبخاصة الفلاسفة -في بحث الرؤيا عقلياً ونظرياً- بتراث اليونان، ولا سيّما أرسطو؛ فقد اتصل مذهبه بالشرق الإسلامي عن طريق الكندي، وبالغرب الإسلامي عن طريق ابن رشد.

أمّا في ما يتعلق بمسألة تعبير الرؤيا عند المسلمين فإن أصولها تعود -في الغالب الأعم- إلى كتابات أرطميدورس الأفسسي اليوناني (القرن الثاني الميلادي) في كتابه "تعبير

[٢٦] المرجع السابق، ص٦٦.

[٢٧] نِحْلة صوفية تنسَب إلى شاعر من تراقيا اسمه "أورفية". ونجد أول إشارة إلى الأورفية عند أفلاطون في "الجمهورية"، وفي "المأدبة"، وعند اقراطيلوس وطيماوس، وفي كتاب "القوانين"، كما أشار إليها أرسطو في كتابه "تكوين الحيوان". وترتد هذه النِّحلة في أساسها إلى الإله المزعوم "زيدو دنسيوس". انظر:

- أبو ريان، محمد علي. **تاريخ الفكر الفلسفي**، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦١م، ص٢٧.

[28] Hasting, James. *Encyclopedia of Religion and Ethics,* vol. VI, P. 452.

[29].Ibid. vol. V, p. 456

الرؤيا"، الذي عرفوه في ثوبه العربي بعد أن ترجمه حنين بن إسحاق (٨٠٩-٨٨٧م) بمقالاته الخمس.[٣٠]

أ. **أفلاطون** (٣٤٧ ق.م):

لم يتوسّع أفلاطون في دراسة موضوع الأحلام، فقد أورد بعض الآراء عنها في محاورات الجمهورية، وطيماوس. وبدأ تناولها بالحديث عن النوم، فحذّر -على لسان سقراط- من الإسراف في التهام الطعام والشراب قبل النوم؛ لأنه يفسِد الأحلام حتى ليرى المفرِط في منامه أنه يفسق أو يسفك دماً في غير استحقاق.[٣١] أمّا الشخص الذي يتصف بالاعتدال والصحة وعدم الإفراط في تناول الطعام والشراب، فإنه لا يستسلم للنوم إلّا بعد أن يوقظ عقله ويغذّيه بالأفكار والخواطر الرفيعة في تأمّلٍ باطنٍ مركّز، وبعد أن يهدِّئ رغباته دون أن يخضعها لكبتٍ صارم أو يتمادى في إشباعها، حتى ينام من غير أن يعكّر ملاذه أو آلامه صفو الجزء الرفيع من نفسه، وإنما تترك له الحرية في البحث وحده، بريئاً من الحواس، عن معرفة جديدة بشيء ماضٍ، أو حاضر، أو مستقبل.[٣٢] ويبدو أن أفلاطون يريد أن يؤكد -في هذا المقام- أن سمو النفس الناطقة فوق رغبات البدن الشهوية والغضبية، يخلِّصها إبان النوم من عالمها الحسي، ويجعلها تظفر بالحكمة؛ إذ تبلغ النفس هنا أعلى درجات الحقيقة وتقبّل الرؤى المزعجة في الأحلام الى أدنى حيّز ممكن، ومن ثم تضيء القوة الناطقة المفكرة، وتصبح مهيأة لتلقي الرؤى، وقادرة عليها.[٣٣]

وبوجه عام، فإن أفلاطون يذهب إلى الحطِّ من شأن الأحلام، "ويعزوها إلى الرغبات المنحطة، والمتوحشة والهوجاء، وهي رغبات نجدها حتى في الصفوة القليلة من الناس الذين على قدر كبير من الاعتدال، وتتبدى بوضوح من الأحلام."[٣٤]

---

[٣٠] ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحق. **الفهرست**، ليبزج: طبعة فلوجل، د.ت، ج٢، ص٢٢٥.

[٣١] أفلاطون. **الجمهورية**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤م، الكتاب التاسع من الترجمة العربية، ص٥١٥.

[٣٢] المرجع السابق، ص٥١٨.

[٣٣] يذهب أفلاطون إلى أن الذي يخلو هو الجزء الناطق فقط من النفس وأن النفس الشهوانية والغضبية فانيتان. انظر:
- **فيدون وكتاب التفاحة المنسوب لسقراط**، ترجمة وتعليق وتحقيق: علي سامي النشار، وعباس الشربيني، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٥م، ص٢٠٠ وما بعدها.

[٣٤] أفلاطون، **الجمهورية**، مرجع سابق، ص٥١٥. ويتفق رأي أفلاطون هنا مع رأي مدرسة التحليل النفسي عند (فرويد)؛ إذ يرى أن الحلم هو استجابة لإثارة نفسية مردها وجود رغبة مكبوته لم تشبع إبان اليقظة؛ لأنها مستهجنة وغير مقبولة. انظر:

ب. أرسطو (٣٢٢ ق.م):

يُعَدّ كتاب "النَّفْس" لأرسطو أحد أهم المصادر التي استقى منها مفكرو الإسلام بحوث أرسطو المتعلقة بالأحلام. ومما يؤيد هذا الرأي، أن ابن رشد يشير صراحة إلى هذا الكتاب، ويستشهد به في معرض حديثه عن النوم والأحلام.[٣٥] ويذهب أرسطو إلى أن الحس المشترك[٣٦] هو من الحواس الباطنة التي لا تسكن في أثناء النوم، بعكس الحواس الظاهرة (من بصر، وسمع، ونحوها) التي يتعطل عملها في أثناء النوم، ومن ثم يبطل الحس كله، وعليه، فقد قيل إنَّ النوم هو انحباس هذا الحس المشترك عن الحواس الظاهرة؛ لأنَّ النائم يتمتع بقوى الحسِّ كلِّها، ومع ذلك لا يحس؛ لأن النوم حبس أو رباط لها، واليقظة هي إطلاق لهذه القوى.[٣٧]

- المخيلة والأحلام

المخيلة عند أرسطو هي "مرتبة بين الحس والنطق، فالتخيّل هو عبارة عن تخلف الصور المحسوسة في النفس، بحيث يمكن دعوته حساً متخلفاً؛ لأنه يلبث في النفس بعد زوال المحسوس."[٣٨]

ويذهب أرسطو إلى أن للمخيلة شأناً عظيماً في الأحلام؛ فهي المصدر الذي تنبعث منه صور الإحساس السابقة، فتظهر هذه الصور في النوم، وتخدع الحالم؛ لأن ذهنه ينصرف عن كل شاغل خارجي، ولا يستطيع ما يستطيعه اليقظان من مراجعة حاسة بأخرى. وتفسير ذلك أن المخيلة تعظم قوتها في أثناء النوم على إثر تخلصها من أعمال اليقظة التي تطغى عليها في أثناء النهار، فتقصيها عن الوعي أو تبدلها في غموض، شأنها

- Freud. *Interpretation of Dreams* P. 103.

[٣٥] يذهب الدكتور إبراهيم بيومي مدكور في كتابه "في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه" إلى أن ارسطو وضع رسالتين، وهما: "رسالة الأحلام" و "رسالة التنبؤ بواسطة النوم"، وقد عني بهما تلاميذ أرسطو وأتباعه من المشائين عناية كافية. انظر:

- مدكور، إبراهيم بيومي. **في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه**، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م.

[٣٦] هو أحد الحواس الباطنة الخمس، وهي: الحس المشترك، والذاكرة، والخيال، والوهم، والحافظة المتصرفة.

[37] Ross ,S.D. *Aristotle (Desommoet vigillia)* ,oxford press vol III P. 454.

[٣٨] كرم، يوسف. **تاريخ الفلسفة اليونانية**، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦م، ص٢١٠.

في ذلك شأن اللهب حين يتفاعل أمام لهب يكبره، والألم أو السرور حين يذوب في ألم أو سرور أشد عنفاً، فإن زال عنا ما يجعلنا نحس بضآلتها، بدت جلية واضحة.[39]

ومعنى ذلك أن الحلم يحوّل الأحاسيس الخفيفة إلى أحاسيس مكبّرة؛ "فالنائم الذي يسمع صلصلة خفيفة في أذنيه، يرى في حلمه أن برقاً أو رعداً يمسه، وإذا اتصلت بجزء من جسمه حرارة ما، توهم في حلمه أنه يقتحم النار ويصطلي بها، فإذا استيقظ عرف هذه الأشياء على حقيقتها."[40]

فالأحلام في جملتها عند أرسطو تنشأ من صور ذهنية لإحساسات سابقة تشكلها المخيلة بأشكال شتى.[41] وقد فطن أرسطو – زيادة على ذلك – إلى أثر الميول والعواطف والانفعالات والأمزجة في تشكيل الأحلام، حتى يرى المحب ما يساير نزعات هواه، ويرى الخائف مثيرات خوفه ويعمل على اتّقائها؛ إذ كثيراً ما يرى الإنسان في منامه أشياء، كانت موضع تفكيره في يقظته.[42]

– موقف أرسطو من الرؤيا الصادقة

لا يقبل أرسطو الرأي القائل بأن الأحلام (الرؤى) هي من الله، ويرفض أن يتخذ من النوم وسيلة للتنبؤ، ويستبعد من مذهبه جميع التفسيرات الدينية والتعليلات القائمة على قوى وأسرار غامضة. كما يقصر أرسطو مسألة التنبؤ بالغيب عن طريق الأحلام "على ما يعرض للمرضى ومضطربي العقول، وأن التنبؤ الصحيح عنده، إنما هو عمل من أعمال النفس السليمة والعقول الثاقبة."[43]

ويجمع الباحثون على أن مجمل آراء أرسطو في الأحلام قد لاقت قبولاً لدى مفكري الإسلام، ولم يخرجوا عليه إلاّ في ما يتعلق بموقفه من عدم تأييد الرؤيا الصادقة.

[39] Beare ,John. *Greak Theories of Elementary Cognition*. Oxford Clarendon Press, 1906, P.P. 51-52..

[40] Ross. Aristotle. Op. cit P. 463.

[41] الطويل، توفيق. **الأحلام**، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٩٤٥م، ص٦٩.

[42] المرجع السابق، ص٨٦. ويلاحظ أن أرسطو قسّم الأحلام إلى قسمين: أحلام حسية (Sensorial Dreams)، وأحلام نفسية (Psychic Dreams).

[43] شيشرون. **علم الغيب في العالم القديم**، ترجمة وتعليق: توفيق الطويل، مصر: دار النهضة العربية، د.ت، ص٩١.

ت. الرواقية:[٤٤]

تمثّل آراء الرواقية في الأحلام رافداً رئيساً من روافد التراث القديم، ولا سيّما اليوناني والروماني، الذي تأثّر به مفكرو الإسلام، خاصة فيما يأتي:

– النفس الإنسانية والتنبؤ بالغيب

يذهب الرواقيون إلى أن للأنفس الإنسانية ملكة ملازمة لها، تمكّنها من "الهجْس" أو سبق النظر في المستقبل. فالطبيعة البشرية تبين عن مقدرتها على التنبؤ بالغيب، عندما تتخلص من علائق الجسد، وهذا ما يقع من الرؤيا، أو في الأوقات التي يعترى فيها النفس جذب أو إلهام إلهي، وليس في ذلك من بدع.[٤٥]

فالنفس يمكنها أن تدرك الغيب بفطرتها حين تتجرّد من علائق الجسد وتتخلص من شهواته، دون أن تستعين بالنظر أو السمع أو نحوه من أدوات المعرفة الحسية،[٤٦] وهو ما يعرف – عندهم – بالرؤيا الصادقة. وتفسير ذلك –عندهم– أن النفس تدب فيها الحياة والقوة عند النوم، فمتى استنام الجسم كان كجثة فارقتها الحياة، فتستيقظ النفس وتقوى على ما تعجز عنه في حال اليقظة؛ إذ تكون فريسة لشهواتها، وبذلك تقوى على التنبؤ.[٤٧]

وقد تأثّر متصوفة الإسلام بهذا الرأي، فَعدّوا النوم أخاً للموت؛ فالموت إذا نزل بالبدن ذهب الحس وزال حجابه، واطلعت النفس على ذاتها[٤٨] "ومن أجل هذا حاول الصوفية أن يميتوا أنفسهم موتاً صناعياً؛ إذ بالموت يكون تمام انكشاف الحجاب."[٤٩]

---

[٤٤] الرواقية: هي لفظ يطلق على المدرسة الفلسفية اليونانية الكبيرة التي أنشأها "زينون الأكيتومي" بمدينة أثينا في أوائل القرن الثالث قبل الميلاد، ويطلق على أتباعها أسماء عدّة، منها: أهل الرواق، وأهل المظال، وأصحاب الاسطوانة. انظر:

– الشهرستاني، أبو الفتح تاج الدين بن عبد الكريم. **الملل والنحل**، تحقيق: محمد كيلاني، بيروت: دار المعرفة، ١٤٠٢هـ، ص٢٥٣.

[٤٥] شيشرون، **علم الغيب في العالم القديم**، مرجع سابق، ص٩١. ويلاحظ أن المراد "بالهجس" –من الهاجس– هو أن يوهب الإنسان إدراكاً حدسياً، ولذلك يطلق على بعض المُسنّات من اسم "النساء الهاجسات"؛ أي الواسعات العلم بالأمور، ويضاف هذا "الهجس" إلى الحيوانات عموماً؛ لشعورها بأمور قبل أن تقع، وقد أثبت العلم الحديث معرفتها بوقوع الزلازل قبل حدوثها.

[٤٦] المرجع السابق، ص٩٨.

[٤٧] شيشرون، **علم الغيب في العالم القديم**، مرجع سابق، ص٤٤.

[٤٨] الغزالي، أبو حامد. **إحياء علوم الدين**، القاهرة: طبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٦٢م، ج٤، ص٤٢٨.

ويفرّق الرواقية –كالمسلمين– بين الرؤيا التي تكون من الله، والحلم الذي هو من حديث النفس وصدى طبيعتها، فقالوا: إن الله لم ينشئ الأحلام الباطلة قط.[٥٠] وقسّموا الرؤيا إلى "صريحة لا تحتاج إلى تغيير، ومرموزة تحتاج إلى تأويل، وساقوا من الأمثلة ما يوضح رأيهم، كما ذهبوا إلى أن الرؤيا الواحدة تختلف في المعنى الذي تحمله باختلاف الناس، بل قد يختلف عند الفرد الواحد باختلاف ظروفه، أو باختلاف المعبّرين الذين يتعرضون لتأويلها."[٥١]

وقد لاحظ "شيشرون" في معرض حديثه عن أتباع الرواقية أنهم لا يرون بأساً من اختلاف المعبّرين في الرؤيا الواحدة؛ لأن ذلك يدل على فطنة أصحابها، ويستشهد في ذلك بأمثلة من كتابات "كريسبوس"، و"انتباتر" الرواقييْن، فيقول: "إن عدّاءً تحول في المنام إلى "نسر" فعبّر الرؤيا أحد المعبّرين بالنصر، باعتبار النسر أسرع الطيور، وأوّلها غيره إلى الهزيمة، استناداً إلى أن النسر يطارد غيره من الطيور، فهو على الدوام يسير وراءها."[٥٢]

ويضع الرواقيون "للمعبّر" صفات تشبه نظرة المسلمين من بعض الوجوه، فهو "أقدر على التعبير متى كان طاهراً نقي النفس، بعيداً عن الدنس، ممتازاً بالذكاء الغلاب، والعلم الكامل كمالاً مطلقاً، بل إنه لا يستطيع أن يكون معبراً إلا إذا كان حكيماً."[٥٣]

ث. أرطميدورس (٢م):

أرطميدورس الأفسسي هو صاحب كتاب "تعبير الرؤيا" والمؤسس الحقيقي لعلم تعبير الرؤيا[٥٤] عند اليونان. وقد استقى معلوماته المتعلقة بفن التعبير من كتابات السابقين، ومن

[٤٩] ابن خلدون، عبد الرحمن. **المقدمة**، القاهرة: دار الشعب، ١٩٦٢م، ص٩٥.

[٥٠] شيشرون، **علم الغيب في العالم القديم**، مرجع سابق، ص٦٤.

[٥١] المرجع السابق، ص٦٦.

[٥٢] المرجع السابق، ص٦٦.

[٥٣] الطويل، **الأحلام**، مرجع سابق، ص١٩٤ وما بعدها.

[٥٤] كتاب "تعبير الرؤيا" لأرطميدورس الأفسسي شاع أمره عند المسلمين في دراسة الأحلام؛ حتى لا تكاد تصادف كتاباً يؤرّخ للأحلام أو يضع عنها بحثاً مقارناً إلّا ويشير إليه. وقد روى صاحب الفهرست (ج٢، ص٢٢٥ من طبعة فلوجل) أن حنين بن إسحاق (ت٢٦٠هـ/٨٧٣م) نقله بمقالاته الخمس إلى العربية، ولا سيّما أنه كان يجيد اللغة العربية واليونانية مثلما يقول ابن خلكان صاحب "وفيات الأعيان" (ج١، ص٢٢٩)، وابن أبي أصيبعة في "طبقات الأطباء" (ج١، ص١٨٠). وكان نقله هذا في أواخر القرن الثاني الهجري، وقد بقي الكتاب –حتى عهد

تجاربه الشخصية وعشرته للناس، واختلاطه بالمشتغلين بالكهانة والعرافة – على اختلاف أهوائهم –، فضلاً عن رحلاته التي استغرقت أعواماً طويلة في آسيا وإيطاليا وبلاد اليونان وغيرها. ويتبع أرطميدورس في كتابه هذا منهج تقصي الواقع من خلال التجارب المستمدة من الواقع، ويدلّل عليها ببراهين عقلية. وقد تأثّر المسلمون بهذا الكتاب، وألبسوه ثوباً عربياً، ونفثوا فيه روحاً إسلامية خالصةِ، كادت تمحي معالمه.[٥٥]

ويقسم أرطميدورس الأحلام قسمين؛ الأول: الصريح الذي لا يحتاج إلى تعبير؛ فهو يتحقَّق في اليقظة كما يظهر في المنام. والثاني: ما يتستّر وراء رموز مقنعة يعوزها التعبير (التأويل)، فيكون في صورة مجازية. ويسوق على هذا أمثلة يوضّح بها ما ذهب إليه من آراء، فيقول: "الرؤى (إما) ظاهرة ومنها ذوات تأويل. أما الرؤيا الظاهرة فهي التي تكون مثل الشيء الذي تدل عليه، مثل إنسان يرى كأنه في البحر، وكأن البحر هاج عليه وتموج فلما أصاب ذلك بعينه، وذلك أنه سار في البحر وهلكت سفينته، ولم يسلم ممن كان فيها أحد إلا هو ونفر يسير. ومثل إنسان رأى كأن رجلاً قد طعنه، فلما أصبح وخرج من موضعه ضربه ذلك الرجل ضربة على كتفه في الموضع الذي رأى في منامه أنه ضربه... أما الرؤى ذوات التأويل فهي التي يرى الإنسان فيها في منامه شيئاً فيدل ذلك على شيء آخر بمشاركة فيما بينها وبين النفس."[٥٦]

قريب– في عداد المفقودات، إلى أن اكتشف المخطوط فؤاد سزكين، ثم نشره توفيق فهد (دمشق، ١٩٦٤م)، وقد اعتمدنا على هذه النسخة في عرض مسائل الكتاب.

وقد جرى أرطميدورس في تصنيف كتابه على النسق الذي جرى عليه المسلمون من بعد؛ إذ وضعه في ثلاث مقالات وسلسلة فصول قصيرة كثيرة –كاد أكثرها يكون فقرات–، وضمّنه قواعد التعبير، وبيانات يفيد منها أهله والمشتغلون به. وقد نهج المسلمون ما يشبه هذا المنهج في مقدماتهم –كما سيأتي بيانه–، غير أن معظم الباحثين يميلون إلى القول بأن هذا التشابه الواضح بين كتاب أرطميدورس وكتابات المسلمين في موضوع الأحلام، لا يعني – بالضرورة– تأثرهم المباشر بكتابه، أو المبالغة في بيان هذا التأثّر؛ لأن المسلمين شرعوا في دراسة الأحلام وبيان علاقتها بالرؤى الصادقة والنبوة قبل ترجمة هذا الكتاب بوقت كبير. انظر:

– الطويل، **الأحلام**، مرجع سابق، ص١٨٥ وما بعدها.

[٥٥] الطويل، **الأحلام**، مرجع سابق، ص١٨٦.

[٥٦] أرطميدورس. **كتاب تعبير الرؤيا**، ترجمة: إسحاق بن حنين، تحقيق: توفيق فهد، دمشق، ١٩٦٤م، المقالة الأولى، ص٢٣.

والرؤى عند أرطميدورس تنقسم إلى ما هو محمود، وما هو مذموم، ويضرب مثالاً على الروايات المحمودة؛ فهي كأن يرى الإنسان ملائكة السماء وهم مسرورون فرحون، ويراهم كأنهم يعطونه شيئاً من خيراتهم. أمّا الروايات المذمومة من الأمرين جميعاً، فمثل أن يرى الإنسان في منامه كأنه سقط في هوة، أو ارتفع عليه اللصوص.[٥٧]

ويفرّق أرطميدورس بين الحلم والرؤيا، فيقول: "الرؤيا تخالف الأضغاث (الأحلام)، لأن الرؤيا من (إيرن) باليونانية ومعناها القول الحق. والحلم من (انيرس) وهو مشتق من الثنية والتحريك."[٥٨]

وإلى مثل هذه التقسيمات يذهب علماء المسلمين، مع بعض الاختلافات التي تتفق وعقيدة التوحيد من جهة، واختلاف العادات والتقاليد من جهة أخرى، وذلك كتقسيم السمنودي، والسالمي، والنابلسي وغيرهم.[٥٩]

وتسهم الرمزية إسهاماً فاعلاً في تأويل أرطميدورس للرؤى والأحلام، وفي ما يأتي بعض الأمثلة على ذلك:[٦٠]

- اتخاذ الحالم رمزاً لغيره، ومثال ذلك أن إنساناً رأى في منامه أنه قد مات، فعرض له أن أباه مات، وهو غيره، إلّا أنه مشارك له في النفس والبدن.

- اتخاذ الآخر الغير، رمزاً للحالم، ومنه أن إنساناً رأى في منامه كأن أباه يحترق في النار، فعرض أن مات صاحب الرؤيا نفسه، فصار أبوه بسبب اغتمامه عليه كمن يحترق بالنار غماً.

- ارتباط الرمز بصاحبه وشخصيته، ومركزه وظروفه وأحواله في حياته، ومن ذلك جواز أن يحمل الرمز الواحد للثرى معنى، يختلف عن المعنى الذي يحمله للفقير؛ فولادة

---

[٥٧] المرجع السابق، ص٢٩.

[٥٨] المرجع السابق، ص٣١.

[٥٩] انظر: النابلسي، عبد الغني. **تعطير الأنام في تعبير المنام**، القاهرة: مصطفى البابي الحلبي، ١٣٥٤هـ.

[٦٠] أرطميدورس، **كتاب تعبير الرؤيا**، مرجع سابق، المقالة الأولى، ص٣٦ وما بعدها. ويلاحظ في هذا الجانب أن "فرويد" اعتمد على كتاب "أرطميدورس" في هذه الأمثلة التي يوردها، ويظهر ذلك في:

- Freuds. *Interpretation of Dreams*, op. cito, p.89.

الطفل في الرؤيا إذا وقعت للفقير أصاب خيراً ورزقاً، وإذا وقعت للغني فَقَدَ سلطانه على بيته؛ لأن الطفل على الدوام محكوم بغيره. كما أن الرمز الواحد عند أرطميدورس يحمل كثيراً من المعاني التي تختلف باختلاف الأمم والشعوب والملل، وتتباين عند الأفراد بتباين ثقافتهم وتقاليدهم وصناعاتهم وطرائق معيشتهم ونحو ذلك، وهذا هو فهم المسلمين أيضاً للرمز.

وفيما يخصّ صفات المعبِّر للرؤيا، يذكر أرطميدورس مجموعة منها،[٦١] من مثل: أن يكون المعبِّر من أصحاب العقل السليم والرأي السديد، وأن يكون متقناً لأصول تعبير الرؤى علماً وعملاً، وألّا يتكلم عفواً أو اعتباطاً في تعبير الرؤى، ولا ينطق إلّا عن روية وتفكير؛ لأن الاستخفاف بالتعبير أمر شائن لا يشرف صاحبه، وفوق ذلك أنه مضر لصاحب الرؤيا، كذلك أن يظل على اتصال يصاحب الرؤيا للاستفسار عمّا خفي عنه حتى يتمّم التأويل.

أمّا بالنسبة إلى تأثير أرطميدورس في علم تعبير الرؤيا عند المسلمين، فقد أجمع عليه معظم الباحثين في مجال دراسة الرؤى والأحلام. فآراؤه في جملتها —كما أشرنا— تعبِّر عن روح شرقية فيّاضة لاقت قبولاً في نفوس معبِّري الرؤيا المسلمين، خاصة أن أرطميدورس يقول بالرؤيا الصادقة، ويَعُدُّها من وحي الآلهة. كما أن تقسيماته لكتابه جرى عليها المسلمون من بعد.

يقول توفيق الطويل في التعبير عن هذا التأثّر: "إننا إذا جرّدنا كتاب أرطميدورس من صيغة الوثنية اليونانية، وجرّدنا ما يقابلها من آراء المسلمين – على نحو ما سيأتي تفصيله – من مسحته الدينية الإسلامية، فما نرى من خلف بينها رغم تفاوت الزمان واختلاف المكان لأنها عامة ومشتركة، وهكذا نلاحظ أن تفكير المسلمين في هذا الصدد، كان صدى للأصول التي أسلفناها عن أرطميدورس الذي انتقل إلى العرب وساير عقلية أهلها."[٦٢] لكن الطويل في معرض حديثه عن هذه المسألة، يعود فيتحفظ بعض الشيء

[٦١] أرطميدورس، **كتاب تعبير الرؤيا**، مرجع سابق، ص٣٩ وما بعدها.

[٦٢] الطويل، **الأحلام**، مرجع سابق، ص١٩٢.

في قبول هذا الرأي الذي أعلنه؛ إذ يقول: "ينبغي ألا نبالغ في نقل المسلمين عن غيرهم، فإن وحدة العقل الإنساني عند كافة الشعوب من شتى العصور تأتي بالعجائب في وجوه التشابه في الأفكار ولا سيما في موضوع –كموضوع الأحلام– أليف عند الناس في كل زمان ومكان،"[٦٣]

ويمضي الطويل في تأكيده هذا التحفظ، فيقول: "إن ترجمة حنين بن إسحق لكتاب أرطميدورس، ونقله للعالم الإسلامي جاء متأخراً عن كتابات عديدة للمفسرين الإسلاميين بما يقرب من مائة عام، فابن سيرين توفي (٧٢٨م) وحنين بن إسحق توفي (٨٧٧)، ومن المرجح أن الكتاب قد نقل إلى العربية في عام (٨٢٦م) على أقل تقدير، ومن ثم لا يرقى إلينا الشك في أن المسلمين لم يأخذوا عن أرطميدورس آراءهم في التعبير، اللهم إلا إذا قيل إن أفكاره وصلت إليهم قبل ترجمته في اقتباسات المشتغلين بهذا العلم."[٦٤]

ثالثاً: موقف الفِرَق الإسلامية من الرؤى والأحلام

١. أهل السُّنة:

يأخذ السُّنة بمنهج تقسيم الرؤى إلى قسمين (الرؤيا الصادقة، والحلم)، استناداً إلى قول النبي ﷺ: "الرؤيا الصادقة من الله والحلم من الشيطان."[٦٥] يقول صاحب التمهيد: "وجملة القول في هذا الباب أن الرؤيا الصادقة من الله، وأنها من النبوة، وأن التصديق بها حق، ومنها من بديع حكمة الله ولطفه ما يزيد المؤمن من إيمانه."[٦٦]

[٦٣] المرجع السابق، ص١٩٣.

[٦٤] المرجع السابق، ص١٩٦. ونحن لا نوافق الدكتور توفيق الطويل في كثير مما يذهب إليه مصنفو كتب الأحلام من المسلمين الذين يستشهدون بأقوال "أرطميدورس"، مثل: ابن غنام صاحب كتاب "تعبير الرؤيا"، وعبد الغني النابلسي صاحب كتاب "تعطير الأنام"، مع أن لهؤلاء قدرهم في مجال تعبير الرؤيا.

[٦٥] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب التعبير، ج٤، ص٢٩٦.

[٦٦] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله. **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: سعيد أحمد غراب، القاهرة: المكتبة السلفية، ط١، ١٤٠١هـ، ج١، ص٢٨٥.

ويقسم أهل السنة الرؤيا الصالحة إلى أربعة أقسام؛[٦٧] أولها: إلهام يلقيه الله -سبحانه وتعالى- في قلب العبد، وهو الكلام يكلِّم به الرب عبده في المنام كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١).

ويرى ابن تيمية أن الوحي هو الإعلام السريع الخفي، إما في يقظة أو في المنام، فإن رؤيا الأنبياء وحي، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة كما ثبت عن النبي ﷺ، في الصحاح، وقال عبادة -ويروى مرفوعاً- "رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده في المنام.. فهذا الوحي يكون لغير الأنبياء ويكون مناماً."[٦٨] والثاني: مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكَّل بها. وهذه المسألة كانت موضع خلاف لاحتياجها إلى دليل، فقد أثبتها ابن القيم وابن العربي وابن حجر، ورفضها القرطبي.[٦٩] والثالث: عروج روح النائم إلى الله -سبحانه وتعالى- وخطابها له، واستدل ابن القيم على ذلك بحديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين لقي علياً، فقال: يا أبا الحسن، ربما شهدت وغبنا وشهدنا وغبت، وثلاث أسألك عنهن، فهل عندك علم؟[٧٠] والرابع: دخول روح النائم الجنة ومشاهدتها.

وتكمن أسباب صدق الرؤيا الصالحة عند السلف في ثلاثة أمور:

الأول: تحقيق ولاية الله تعالى المتمثّلة في قوله ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا

[٦٧] ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر. **الروح**، تحقيق: بسام العموش، الرياض: دار ابن القيم، ١٤٠٦هـ، ص٢٩ وما بعدها.

[٦٨] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. **مجموع الفتاوى**، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد قاسم، الرياض: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، د.ت، ج١٢، ص١٢٩.

[٦٩] انظر:

- ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر. **إعلام الموقعين**، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، بيروت: دار الجيل، د.ت، ج١، ص١٩٥.
- ابن القيم، **الروح**، مرجع سابق، ص٢٩ وما بعدها.
- البغوي، الحسين بن مسعود. **شرح السُّنة**، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت: المكتب الإسلامي، ط٢، ١٩٨٣م، ج١٢، ص٢١١.
- الجصاص، أحمد بن علي الرازي. **أحكام القرآن**، مصر: مطبعة الإمام، ١٣٧٩هـ، ج٣، ص١٠٧٤.

[٧٠] ابن القيم، **الروح**، مرجع سابق، ص٣٠-٣١.

وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ (يونس: ٦٢-٦٤). وقد ورد تفسير البشرى في الحياة الدنيا في الأحاديث الصحيحة بأنها الرؤيا الصالحة.

والثاني: الحرص على الصدق في الحديث. فقد أخرج الإمام أحمد في مسنده من حديث أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال: "إذا اقترب الزمان لم تكن رؤيا المؤمن تكذب وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً."[٧١]

والثالث: الحِرْز من الشيطان عند النوم؛ وذلك بمراعاة آداب النوم التي جاءت في السنة النبوية، ومنها: النوم على طهارة، والتعوذ والقراءة عند النوم (قراءة آية الكرسي، وآخر آيتين من سورة البقرة، والمعوذات).

ويذهب ابن القيم إلى "أن رؤيا الأنبياء وحي؛ وأنها معصومة من الشيطان، وهذا باتفاق الأمة."[٧٢] ولا أدل على ذلك من رؤيا إبراهيم ﵇ في شأن ذبح ابنه إسماعيل. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢) ورؤيا سيدنا محمد ﷺ في قصة الحديبية. قال تعالى: ﴿لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾ (الفتح: ٢٧)

ورؤيا الأنبياء تقع وحياً لأسباب عدّة منها: العصمة من تمثّل الباطل أو الشيطان أو الخيال لهم في صورة الحق؛ ولذلك فرؤياهم حق. واتصاف جميع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- بعدم الغفلة؛ إذ تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم، كما جاء في الصحيحين وموطأ الإمام مالك من حديث عائشة -رضي الله عنها- أن النبي ﷺ قال: "إن عيني تنامان ولا ينام قلبي."[٧٣]

---

[٧١] أحمد بن حنبل. **المسند**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٩هـ، ج٢، ص٥٠٧.

[٧٢] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، اليمن: دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ، ج٣، ص٤.

[٧٣] مالك بن أنس. **الموطأ**، باكستان: مطبعة البشرى، د.ت، ج١، ص٢٠.

أ. علم تعبير الرؤيا عند أهل السُّنة:[٧٤]

يَعُدّ علماء السنة علم تعبير الرؤيا علماً صحيحاً دلّ عليه الكتاب والسنة والواقع المحسوس، وهو ليس رجماً بالغيب كما ظن بعضهم.[٧٥] والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها قوله ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجۡتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ (يوسف: ٦)، وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ﴾ (يوسف: ٢١).

وقد دلت السُّنة على صحة هذا العلم في أكثر من حديث وموضع، منها: ما ورد في كتاب "بدء الوحي"، الحديث الثالث، أخرج لسنده عن عائشة -رضي الله عنها- أنها "قالت: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء..."[٧٦] وقد ورد النص نفسه أيضاً في كتاب "التعبير"، الباب الأول.[٧٧] وورد كذلك في كتاب "التفسير"، باب: "اقرأ باسم ربك الذي خلق" بلفظ: "كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم..."،[٧٨] وغيرها. ويدخل تعبير الرؤيا في دائرة التقوى لقوله تعالى: ﴿قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ (يوسف: ٤١).

وقد وضّح ابن القيم مكانة هذا العلم في كتابه "التبيان في أقسام القرآن"، وكذلك في كتابه "زاد المعاد" عند حديثه عن رسوخ شيخه الشهاب العابر في علم التأويل؛ إذ

---

[٧٤] التعبير في اللغة مختص بالرؤيا، وهو العابر من ظاهرها إلى باطنها، نحو: ﴿إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ﴾ (يوسف:٤٣)، وهو أخص من التأويل؛ فإن التأويل يقال فيه وفي غيره. انظر:
- **معجم ألفاظ القرآن**، القاهرة: مجمع اللغة العربية، ١٤٠٩هـ، ص٣٣. وقال ابن منظور: "عبر الرؤيا وهو يعبرها عبرا وعبارة وعبرها، فسرها وأخبر بما يؤول إليه أمرها، واستعبره إياها: سأله تعبيرها". انظر:
- ابن منظور، **لسان العرب**، مرجع سابق، ج٤، ص٥٢٩. أمّا اصطلاحاً فهو التفسير والإخبار بما يؤول إليه أمر الرؤيا. انظر:
- ابن خلدون، **المقدمة**، مرجع سابق، ص٢٨٩، ٤١٧.

[٧٥] من أمثال الفلاسفة وكبار الصوفية؛ فهم لم يعنوا كثيراً بالبحث في هذا العلم. انظر:
- الطويل، **الأحلام**، مرجع سابق، ص٣٦٣.

[٧٦] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج١، ص٢٣.

[٧٧] المرجع السابق، ج٤، ص٣٩٥.

[٧٨] المرجع السابق، ج٨، ص٧١٤.

يقول: "وهذه كانت حال شيخنا هذا، وسوقه في علم التعبير، وسمعت عليه عدة أجزاء، ولم يتفق لي قراءة هذا العلم عليه، لصغر السن واخترام المنية له رحمه الله."[٧٩]

ويفرّق ابن تيمية بين التعبير والتأويل، فيقول: "فالحاصل أن تأويل الرؤيا يشمل تفسيرها الذي تسميه عبارة الرؤيا ويشمل الحقيقة التي تؤدي إليها الرؤيا، فالتعبير أخص من التأويل."[٨٠]

ويقسم علم التعبير الرؤيا إلى نوعين: الأول: ما هو ظاهر لا يحتاج إلى تأويل، ومثاله رؤيا إبراهيم عليه السلام أنه يذبح ولده. والثاني: ما هو من ضرب الأمثال للنائم، وهذا النوع هو الأكثر والغالب على الرؤيا، وهو الذي يحتاج فيه إلى تأويل، ومثاله رؤيا يوسف عليه السلام أن الكواكب والشمس والقمر تسجد له، فكان تأويلها سجود إخوته وأبويه له، وهذا ما تكلّم العلماء في تأويله، "ووضعوا له القواعد التي يمكن بها معرفة تأويل الرؤيا."[٨١]

ويذهب ابن تيمية إلى أن "الرؤيا تدرك بالمقايسة والاعتبار... وذلك أيسر من إدراك شيء على البديهة من غير مقال معروف... ."[٨٢] ويقول في موضع آخر: "إذا عرف أن مادة العدل والتسوية والتمثيل، والاعتبار والتغيير من جنس واحد، فيستدل بهذه الأسماء على القياس الصحيح الفعلي والشرعي ويؤخذ من ذلك تعبير الرؤيا."[٨٣]

ويقول ابن القيم في المعنى نفسه: "لقد ضرب الله سبحانه الأمثال وصرفها قدراً وشرعاً ويقظة ومناماً، ودلّ عباده على الاعتبار بذلك، وعبورهم من شيء إلى نظيره واستدلالهم بالنظير على نظيره، بل هذا أصل عبارة الرؤيا التي هي جزء من أجزاء النبوة ونوع من أنواع الوحي، فإنها مبنية على القياس والتمثيل واعتبار المعقول بالمحسوس."[٨٤]

---

[٧٩] ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر. **زاد المعاد**، بيروت: مؤسسة الرسالة، د.ت، ج٣، ص٦١٥-٦١٦.

[٨٠] ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، **العقيدة التدمرية**، تحقيق: محمد بن عودة السعوي، الرياض: مكتبة جرير، ١٤١٣هـ، ص٩١ وما بعدها.

[٨١] المرجع السابق، ج٢٠، ص٨٢.

[٨٢] ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، مرجع سابق، ج١١، ص٦٣٨.

[٨٣] المرجع السابق، ص٦٥٢.

[٨٤] ابن القيم، **أعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج١، ص٢٩٠.

ويعبِّر محمد بن سيرين عن المعنى عينه بقوله: "والعبارة قياس واعتبار وتشبيه وظن، لا يقطع بها إلا أن يظهر في اليقظة صدقها أو يرى برهانها."[٨٥]

فالحاصل من كلام هؤلاء العلماء أن تعبير الرؤيا يعتمد على القياس والاعتبار والمشابهة في الاسم والصفة بين الرؤيا التي تمثل جانب المعقول وتأويلها الذي يمثّل جانب المحسوس، أو بين قيام الرموز في الرؤى وضرورة تعبيرها للكشف عمّا تحمل من خفي المعاني.[٨٦]

ب. أقسام تأويل الرؤيا:

يقول البغوي في كتابه "شرح السُّنة": "واعلم أن تأويل الرؤيا ينقسم أقساماً، فقد يكون بدلالة من جهة الكتاب، أو من جهة السُّنة، أو من جهة الأمثال السائرة بين الناس. وقد يقع على الأسماء والمعاني، وقد يقع على الضِّد والقلب."[٨٧]

وفي ما يخصّ التأويل بدلالة القرآن، يرى ابن القيم "أن فهم القرآن يعبر عن الرؤيا أحسن تعبير، وأصول التعبير الصحيحة إنما أخذت من مشكاة القرآن، فالسفينة تُعبَّر بالنجاة لقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ (العنكبوت: ١٥) والخشب يعبر عنه بالمنافقين لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ (المنافقون: ٤).

أمّا عن التأويل بالحديث فيقول ابن سيرين: "والعابر يحتاج أيضاً إلى اعتبار أخبار رسول الله ﷺ، وأمثاله في التأويل، كقوله: "خمس فواسق، وذكر الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور،"[٨٨] وقوله في النساء: "إياك والقوارير"، وقوله في المرأة: "المرأة خلقت من ضلع أعوج."[٨٩][٩٠]

[٨٥] ابن سيرين، أبو بكر محمد. **الإشارة في علم العبارة**، تحقيق: خالد علي محمد، الرياض: مكتبة الصفحات الذهبية، ١٤٠٩هـ، ص١٦٤.

[٨٦] العتيبي، **الرؤى عند أهل السنة والمخالفين**، مرجع سابق، ص٨٨.

[٨٧] البغوي، **شرح السنة**، مرجع سابق، ج١٢، ص٢٢٠. انظر أيضاً:

- ابن القيم، **أعلام الموقعين**، مرجع سابق، ج١، ص١٩٣-١٩٤.

[٨٨] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، ج٤، ص٤٢.

[٨٩] مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، بيروت-دمشق: دار ابن كثير، كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء، حديث ١٤٦٨، ج٤، ص١٨١١.

ومن التأويل بالأقوال السائرة بين الناس، قول إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام: "غيِّر أُسْكُفَّة (عتبة) الباب"؛ أي طلِّق زوجتك، وقول لقمان لابنه: "بدِّل فراشك"؛ أي زوجتك،... .[91]

والتأويل بدلالة المعاني فيه الكثير، وهو الغالب في تأويل الرؤيا، ويظهر بصورة واضحة في تأويل رؤيا يوسف عليه السلام التي رأى فيها الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدين؛ إذ إن وجه المناسبة فيها أن هذه الأنوار هي زينة السماء وجمالها وبها منافعها، وبما أن الأب والأم هما الأصل، والإخوة هم الفرع، فمن المناسب أن يكون الأصل أعظم نوراً وجرماً لما هو فرع عنه، فلذلك كانت الشمس أمه، والقمر أباه، والكواكب إخوته.[92]

ومن المناسب أن الشمس لفظ مؤنث، فكانت لأمه، وأن القمر والكواكب مذكرات، فكانت لأبيه وإخوته. ومن المناسب أيضاً أن الساجد معظِّم محتِرم للمسجود له، والمسجود معظَّم محترَم، فدلّ ذلك على تعظيم يوسف واحترامه من أبويه وإخوته، ومن لازم ذلك أن يكون مجتبى مفضلاً في العلم والفضائل الموجبة لهذا الأمر. ولذلك قال أبوه كما جاء في محكم التنزيل ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾ (يوسف:٦). والأمر كذلك دلالة المعاني في رؤيا يوسف، ورؤيا الملك.[93]

يتطرق السلف بعد ذلك إلى وضع قواعد وآداب لتعبير الرؤيا، يجب على الرائي أن يتبعها، وأهمها ما ورد في حديث أبي قتادة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شر الشيطان، وليتفل ثلاثاً، ولا يحدث بها أحداً وإنها لن تضره."[94] ولهذا نصح نبي الله يعقوب عليه السلام ابنه يوسف عليه السلام ألاّ يقص الرؤيا على إخوته. قال تعالى:

---

[90] ابن سيرين، **الإشارة في علم العبارة**، مرجع سابق، ص١٦٦. انظر أيضاً:
- ابن سيرين، **تفسير الأحلام**، مرجع سابق، ص١١٦.

[91] ابن سيرين، **الإشارة في علم العبارة**، مرجع سابق، ص١٦٧.

[92] ابن سيرين، **تفسير الأحلام**، مرجع سابق، ص١٢٨.

[93] المرجع السابق، ص١٣٠ وما بعدها.

[94] انظر:
- البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب التعبير، ج٤، ص٣٠٩.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ (يوسف: ٥).

ينتقل أهل السنة بعد ذلك إلى وضع شروط للمعبِّر، منها:[٩٥]

أن يكون عالماً متفقهاً في الكتاب والسنة، مع مزيد فهم ومعرفة، وأن يكون ناصحاً؛ لأنه يرشِد إلى ما ينفع ويتعين، وأن يكون لبيباً عاقلاً عارفاً بتأويل الرؤيا، وإن ساءته سكت وتركها، وأن يكون ذا رأي، وذا عقل وتدبير، فهو يخبر بحقيقة تفسير مما يعلم منها. ويضيف ابن سيرين إلى الخصال السابقة للرّائي(المعبِّر) صفات أخرى؛ إذ يقول: "وكذلك يحتاج العابر أن يكون أديباً ذكياً فطناً تقياً عارفاً بحالات الناس ومشاكلهم وأقدارهم وهيئاتهم... عارفاً بالأزمنة ومنافعها ومضارها، وبأوقات ركوب البحر... وعادات البلدان وأهلها وخواصها... ."[٩٦]

أمّا آداب المعبِّر فقد حددها السلف في الآتي:

– إذا وردت على الرائي(المعبِّر) من صاحب الرؤيا في تأويل رؤياه عورة قد سترها الله عليه، فلا يخبره منها بما يكره أن يطلع عليه مخلوق غيره إن كان مبتلياً لا حيلة له.

– أن لا يصدر الرائي(المعبِّر) في تأويله في مسألة حتى يفتشها، "وكان ابن سيرين يفعل ذلك؛ إذا وردت إليه رؤيا مكث فيها ملياً من النهار يسأل صاحبها عن نفسه وحالته وصناعته وعن قومه ومعيشته... ولا يدع شيئاً يستدل به ويستشهد به على المسألة إلا طلب عمله."[٩٧]

– أن يتصف الرائي (المعبِّر) بالطهارة والنزاهة والأمانة وتحري الصدق. يقول ابن القيم: "ويعتمد علم التعبير على طهارة صاحبه ونزاهته وأمانته، وتحريه الصدق والطرائق الحميدة، والمناهج السديدة."[٩٨]

[٩٥] ابن سيرين. **تعبير الرؤيا**، تونس: مطبعة المنار، ص٣٢٢.
[٩٦] المرجع السابق، ص٣٤٢.
[٩٧] ابن سيرين، **الإشارة في علم العبارة**، مرجع سابق، ص٢١١.
[٩٨] ابن القيم. شمس الدين محمد بن أبي بكر، **التبيان في أقسام القرآن**، بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٢هـ، ص٢١١.

- أن يكون الرائي (المعبِّر) "ملمّاً بعلوم تأويل الرؤى، من معرفة أصول الرؤيا والتأليف بينها، وكذلك معرفة الظروف المحيطة بصاحب الرؤيا والقدرة على استخلاص المعاني للرؤية بعد طرح الأضغاث وأحزان الشيطان... ."[٩٩]

٢. المتكلمون:

أ. المعتزلة:

تبلورت آراء المعتزلة في الرؤى والأحلام في كتابات القاضي عبد الجبار، والزمخشري على وجه الخصوص؛ إذ عالج الأول هذه المسألة بالتفصيل من خلال تعرّضه للبحث في النبوات أو ما أسماه "الإعلام بطريق السمع"، الذي تأدى منه إلى إنكار الرؤيا. وقد أفرد القاضي لهذا الغرض الجزء الخامس عشر من موسوعته الكبيرة "المغني في أصول الدين"، وقد أسماه "النبوات"، وكتاب "تثبيت دلائل النبوة".

ويذهب القاضي عبد الجبار إلى أن الإعلام عن الغيب هو من أهم دلائل النبوة، كما أن القرآن -في رأيه- حجة من نواحٍ ثلاث؛ "فهو حجة من طريق الفصاحة والبلاغة، وهو حجة لما فيه من الإخبار عن الغيوب، وهو حجة لما فيه من التنبيه على دلائل الغيوب."[١٠٠]

ويرى القاضي عبد الجبار أن الإعلام بطريق السمع يأتي عن طريق النبوة، فهي أساس التكليف السمعي، وذلك في مقابل الإعلام الذي يتم بطريق الحس والعقل.[١٠١] والأساس في المعرفة بطريق السمع، هو الصلة التي تقوم بين الله وعباده بطريق الأنبياء والرسل، والتكليف الذي تم عن هذا الطريق يسمى التكليف السمعي، ويعرف بأنه الأوامر والواجبات المختلفة التي يعرفها المكلفون بوساطة رجال موحى إليهم، ومنوط بهم تبليغ ما نزل عليهم من رسالات.

---

[٩٩] ابن سيرين، **الإشارة في علم العبارة**، مرجع سابق، ص١٨٧وما بعدها.

[١٠٠] القاضي، عبد الجبار. **تثبيت دلائل النبوة**، تحقيق: عبد الكريم عثمان، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٦٦م، ص٤٠.

[١٠١] عثمان، عبد الكريم. **نظرية التكليف**، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٧١م، ص٩٠.

وما دامت تلك هي نظرية النبوة عند القاضي التي يقوم عليها الإعلام بالسمع، واستنباط الأدلة السمعية —كما أشرنا —، وكانت الوسيلة في ذلك هي الوحي والمعرفة الإلهامية، التي يرى القاضي عبد الجبار أنها مقصورة على الأنبياء فقط دون غيرهم؛ لذلك تجده —كما أشرنا — ينكر الرؤيا بكل أنواعها، ويرفض إمكان التنبؤ بالغيب لغير الأنبياء والمرسلين.[١٠٢]

أمّا الزمخشري فيذهب –على عكس ذلك– إلى إثبات الرؤى من خلال تفسيره المعروف بـ"الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل"؛ بأن رؤيا الأنبياء وحي، وأنها تدخل في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الشورى: ٥١). ولذلك ذكر الله تعالى بعض رؤى أنبيائه، فمن ذلك قوله ﷻ: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا ۖ وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ (الأنفال: ٤٣)، فهي رؤيا الرسول ﷺ؛ "إذ أراه الله في منامه عدوه في عدد قليل، فأخبر أصحابه، فكان تثبيتاً لهم وتشجيعاً لهم على عدوهم، ولو أراكهم الله عددهم كبيراً لجبنتم وهبتم الإقدام، ولتنازعتم في الرأي، وتفرقت كلمتكم، وترجحتم بين الثبات والفرار."[١٠٣]

ويذهب الزمخشري –على خلاف أهل السنة– إلى القول بأن الرؤيا –إجمالاً– هي حديث نفس أو ملك أو شيطان، وتأويلها هو تفسير عبارتها، وكان يوسف عليه السلام أعبر الناس للرؤيا، وأصدقهم عبارة لها.[١٠٤] غير أن الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ (الصافات: ١٠٢–١٠٥). يذهب إلى التأكيد على أن رؤيا الأنبياء وحي كالوحي في اليقظة، لذا قال تعالى: "إني أرى في المنام أني أذبحك"، فذكر تأويل الرؤيا على أنها وحي من الله تعالى.[١٠٥]

[١٠٢] القاضي، عبد الجبار. **المغني**، بيروت: اسم الناشر، د.ت، ج١٧، ص١٠١.
[١٠٣] الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر الخوارزمي. **الكشاف**، بيروت: دار الفكر، ١٩٦٦م، ج٣، ص٥٤٩.
[١٠٤] المرجع السابق، ج٢، ص١٦١.
[١٠٥] المرجع السابق، ج٣، ص٣٤٧.

وبوجه عام، يذهب جمهور المعتزلة إلى التسليم بالنبوة والوحي، "ويرون أن رؤيا الأنبياء وحي، فالرؤيا شاهد ينهض على قيام النبوة؛ لأن الوحي الذي يهبط على الأنبياء في يقظتهم، شبيه شبهاً ملحوظاً بوحي القيام في الرؤيا وإن تفاوتا في المرتبة والدرجة."[١٠٦] غير أن الرؤيا -في مجملها- لا تحتل هذا القدر من القداسة عند المعتزلة؛ فهم ينكرونها إذا كانت من أناس عاديين، أو حتى مما يسمون بالصالحين أو أصحاب الولاية. وعليه، فقد تعدّ المعتزلة -من منطلق نظرتهم العقلية- الرؤيا خيالاً باطلاً كما أسلفنا.

ب. الأشاعرة:

يميل بعض الباحثين إلى القول بأن موقف الأشاعرة من الرؤيا قريب من موقف المعتزلة؛ فقد ذكر صاحب "المواقف" أن كلاًّ من المعتزلة والأشاعرة ينظر إلى الرؤيا بوصفها خيالاً باطلاً، وأن الفرق بين القولين إنما يكمن في التعليل فقط. يقول: "وأما الرؤيا فخيال باطل عند المتكلمين، أما عند المعتزلة فتفقد شرائط الإدراك، من المقابلة وانبعاث الشعاع، وتوسط الهواء، وأما عند الأصحاب إذ لم يشترطوا شيئاً من ذلك، فلأنه خلاف العادة، والنوم ضد الإدراك."[١٠٧]

كما نسب الألوسي هذا القول إلى المتكلمين ولا سيمّا، الأشاعرة منهم. وفي ذلك يقول: "والمنقول عن المتكلمين أنها خيالات باطلة، وهو من الغرابة بمكان، بعد شهادة الكتاب والسنة بصحتها."[١٠٨] وذهب ابن القيم إلى مثل هذا الرأي حين نسب إلى الأشاعرة القول في تعريف الرؤى بأنها "علوم علقها الله في النفس ابتداء بلا سبب، وهو قول (منكري الأرباب والحكم والقوى)،[١٠٩] وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة."[١١٠]

---

[١٠٦] ابن خلدون، **المقدمة**، مرجع سابق، ص٨٩.

[١٠٧] الإيجي، عضد الدين. **المواقف**، مصر: مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ، ج٦، ص١١١.

[١٠٨] الألوسي، أبو الثناء محمود بن عبد الله. **روح المعاني**، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٢، د.ت، ج١٢، ص١٨٤.

[١٠٩] كثيراً ما كان ابن تيمية وابن القيم يطلقان هذه العبارة على الأشاعرة في أكثر من موقع في مصنفاتهم.

[١١٠] ابن القيم، **الروح**، مرجع سابق، ص٣٠.

والحقيقة أن هذه الآراء -في جملتها- لا تعبِّر عن حقيقة مذهب الأشاعرة في الرؤى، كما أنها لا تدل دلالة صريحة على أن الأشاعرة قالوا بأن الرؤى خيالات باطلة؛ فها هو أبو بكر بن العربي -وهو من الأشاعرة- يقول في رده على آراء المعتزلة في إنكار الرؤيا الصادقة "وهذا على أصلهم في تخييلهم على العوام، وإنكار أصول الشرع؛ كإنكارهم الجن، وإنكارهم كلام الملائكة للبشر، وأن جبريل لو كلّم محمداً ﷺ لسمعه الحاضرون."[١١١] ويقول ابن العربي في موضع آخر في شرح الحديث الشريف: "ذهبت النبوة وبقيت المبشّرات"[١١٢] "والمبشّرات رؤيا المؤمن وهي جزء من أجزاء النبوة."[١١٣]

ولتفصيل آراء الأشاعرة في الرؤيا، سوف نعرض لآراء الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ)؛ نظراً إلى مكانته عند الأشاعرة في علم الكلام والتفسير -شأنه شأن الزمخشري عند المعتزلة- وعرضه المسهب الوافي لأبعاد نظرية "الرؤى والأحلام" عند الأشاعرة، ومدى صلتها بالنبوة من خلال تفسيره الكبير المعروف بـ"مفاتيح الغيب"، فضلاً عن أن آراءه تعبِّر خير تعبير عن مجمل آراء الأشاعرة في هذه المسألة، خاصة وأنه من متأخريهم.

- صنوف الرؤى عند الرازي

يذهب الرازي إلى أن الرؤى تنقسم إلى قسمين: منها ما هو صادق، ومنها ما هو باطل؛ فالصادق من الله والباطل من الشيطان، وإن كان ما يرى في المنام جميعه من صادق وباطل هو رؤيا من خلق الله، وإنما أضيف الباطل من الأحلام إلى الشيطان باعتباره الداعي إليها والموعز بها.[١١٤]

وعليه، فالشيطان يقابل الملك الذي يفيض الخير ويفيد العلم ويكشف الحق.[١١٥]

أمّا عن علاقة الرؤيا بالنبوة، فيذهب الرازي إلى القول بأن الرؤيا تنبع من المعين نفسه الذي تستقى منه النبوة. فتتجاوز نطاق العقل في الإدراك وتؤدي إلى السمو فوق

---

[١١١] ابن العربي، أبو بكر. **عارضة الأحوذي بشرح الترمذي**، بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ج٥، ص١٢٠.

[١١٢] البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، ص١٧٦.

[١١٣] ابن العربي، **عارضة الأحوذي بشرح الترمذي**، مرجع سابق، ج٩، ص١٢٧.

[١١٤] الرازي، فخر الدين. **مفاتيح الغيب**، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، د.ت، ج١، ص٤٣٢.

[١١٥] المرجع السابق، ج١، ص٤٨١.

مدارك البشر، وهو ما يتوفر للأنبياء، ويتبدّى لهم من صادق الأحلام وهم نيام. فالرؤيا هي وحي الله إبان النوم.[١١٦]

كما تتبدّى الرؤيا الصادقة -بصورة عامة- في البشر جميعاً. وعلى ذلك، فرؤيا الأنبياء وحي، وهي -كما يراها الرازي- بدء الوحي عند الرُّسل؛ فالرؤيا أولى مراتب التدرُّج عند الرسل. ويؤكد الفخر الرازي بعد ذلك أن الرؤيا كانت بدء الوحي، وأضحت بعد انقطاع الوحي المظهر الباقي للنبوة والتراث الذي خلفته لنا. فالرسالة قد انقطعت بعد الرسل، وذلك مصداقاً لقوله ﷺ: "لا رسول بعدي ولا نبي"، فلما شق هذا على الناس قال: "لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا وما المبشرات؟ قال ﷺ: "الرؤيا الصالحة، يراها العبد الصالح أو تُرى له."[١١٧] ويفسِّر "البشرى" في الآية الكريمة: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ ﴾ (يونس: ٦٣-٦٤) بما يراه المسلم أو يُرى له.[١١٨]

فالرؤيا بهذا المعنى تقع للأنبياء، ومن وليهم من صفوة المؤمنين. وقد تضمنت أحاديث كثيرة ما يؤكد هذا الاتجاه الذي سرى بين جمهرة من المفسرين والمهتمين بتعبير الرؤيا.

رابعاً: موقف فلاسفة الإسلام من الرؤى والأحلام

١. الكندي:

يبدأ الكندي حديثه عن حقيقة الرؤى والأحلام بالحديث عن النوم؛[١١٩] إذ يرى أن النوم هو ترك استعمال النفس للحواس جميعاً، وهذا يتطلّب معرفة ماهية النفس

[١١٦] المرجع السابق، ج٧، ص١٤٩.

[١١٧] انظر:

- الرازي، **مفاتيح الغيب**، مرجع سابق، ج٧، ص١٥٢.
- البخاري، **صحيح البخاري**، مرجع سابق، كتاب التعبير، ج٤، ص٢٩٧.
- الغزالي، **إحياء علوم الدين**، مرجع سابق، ج٤، ص٤٢٩.

[١١٨] الرازي، **مفاتيح الغيب**، مرجع سابق، ج٧، ص١٤٣.

[١١٩] للكندي رسالة في "ماهية النوم والرؤيا"، وقد نقلت في العصور الوسطى إلى اللغة اللاتينية؛ إذ نقلها "جيرارد الكريموني" في القرن الثاني عشر الميلادي من جملة ما نقل من كتب العرب بالأندلس. وقد عُدَّت هذه الرسالة أحد الإسهامات الأساسية في موضوع الأحلام؛ سواء في الشرق العربي أو في أوروبا اللاتينية. انظر:

وقواها.[120] ويركِّز الكندي في قوى النفس على المصوَّرة أو المتخيَّلة؛[121] فيعرّفها بأنها القوة التي تجعلنا ندرك صور الأشياء الشخصية بلا مادة، ويشير إلى عمل هذه القوة في أثناء النوم؛ وذلك لعدم انشغالها بالحسّيات حينئذٍ، فترُى الصور والمرئيات –حال النوم– في صورة رؤى وأحلام لما كانت تُرى بالحس.

أ. حقيقة الرؤيا:

أمّا الرؤيا عند الكندي فهي: "ما يتمثل لنا في النوم من فكر الحسيات مجردة عن المادة لفعل القوة المصورة –كما أشرنا– فندرك منها بواسطة المصورة ما لا ندركه بالحس، فالرؤيا إذن هي استعمال النفس مع الفكر ورفع استعمال الحواس من جهتها."[122]

ب. تعليل الرؤيا:

يعرض الكندي لبعض التساؤلات المتصلة بتعليل الرؤية، منها: التنبؤ بالمستقبل، أو الرؤيا الصريحة؛ والرؤيا التي تحتاج إلى تأويل (الرؤيا الرمزية)؛ ورؤيا أشياء من أضدادها؛ ورؤيا لا تأويل لها وهي أضغاث الأحلام.

ويجيب الكندي عن هذه التساؤلات بالإشارة إلى أن الرؤيا الصادقة في التنبؤ بالمستقبل ليست فيضاً علوياً، وإنما هي مدركات حسية وعقلية تختزنها النفس خلال اليقظة وتشتعل بها عند النوم، وتحمل في طياتها مستقبلها؛ بمعنى أن هذا المخزون الحسي العقلي بما يحويه من علاقات سببية وحيّة، يحصل له نوع من الحدس، أو نوع من الاستنتاج الداخلي، فتكون الرؤيا الصادقة.[123]

– ربيع، محمد شحاتة. **التراث النفسي عند علماء المسلمين**، الإسكندرية: منشأة المعارف الجامعية، ١٩٩٣م، ص١٤٣.

[120] الكندي، **رسائل الكندي الفلسفية**، مرجع سابق، ج١، ص٢٨٤. والجدير بالذكر أن الكندي تأثّر هنا بآراء أرسطو في ما يخصّ دراسة النفس والأحلام.

[121] شاه ولي، عبد الرحمن. **الكندي وآراؤه الفلسفية**، إسلام أباد: د.ن، ١٣٨٤هـ، ص٣٣٥ وما بعدها.

[122] الكندي، **رسائل الكندي الفلسفية**، مرجع سابق، ج١، ص٣٠٠.

[123] الألوسي، حسام الدين. **فلسفة الكندي**، بيروت: دار المعرفة، ١٩٨٥م، ص٤٤.

أمّا بالنسبة إلى مسألة الرمزية في الرؤيا فيرى الكندي "أن الآلة (البدن) إذا كانت أقل تهيؤاً لقبول أنباء النفس، فإن النفس —حينئذ– تحتال أو تتلطف عن طريق الرمز. فإذا أرادت —مثلاً– أن تُنبِئ شخصاً تنبئ بسفر، ولم تقو (الآلة) على أن تقبل أسباب الفكر النقية أرته ذاته طائراً من مكان إلى مكان، فرمزت له بذلك إلى النقلة، وكان سبيل الوصول إلى المعرفة الحقيقية بالتأويل."[١٢٤] ثم بعد ذلك إذا ضعفت الآلة عن قبول قوة الرمز جاء الشيء بالضد، وهذه الرؤيا التي نرى رأيها ضد ما يرى الشخص في منامه، كالذي رأى إنساناً مات، فطالت مدّته، ورأى إنساناً افتقر فكثر ماله.[١٢٥] أمّا إذا ضعفت الآلة ما دون كل هذه المراتب السابقة، فإن رؤياها تكون أضغاثاً؛ أي صوراً مختلطة لا تبين بشيء واضح، وكان حال صاحب هذه الآلة الرائي في المنام، حال المختلط بالتفكير مشتته في اليقظة، الذي لا يستطيع أن يعبِّر عن شيء أو يركِّز على شيء، وهو المسمى أضغاث الأحلام.[١٢٦]

ويجمل الكندي القول في هذه الأمور؛ فيرى أن الرؤيا هي استعمال النفس والفكر وترك استعمال الحواس، وإذا نامت الحواس رأت النفس العجائب واتصلت بالأرواح التي عبرت إلى عالم الجن، والتقت معها بما يفيض عليها من نور الله ورحمته، وإذا كانت النفس صافية تامة التهيؤ لقبول آثار الأشياء وحقائقها دون أعراضها، وكانت أيضاً قادرة على التعبير عن ذلك، فإنها تستطيع في أثناء النوم أن تشاهد حقائق الأشياء مباشرة على ما هي عليه. أمّا إذا كانت أقل تهيؤاً أو مقدرةً على التعبير فإنها ترمز إلى الأشياء بما يدل عليها. وفي حال ضعف تهيؤها أكثر من ذلك، فإن ما نراه يكون صوراً مختلطة وأضغاثاً لا تُنبِئ بشيء واضح.

---

[١٢٤] الكندي، **رسائل الكندي الفلسفية**، مرجع سابق، ج١، ص٤٠٣.

[١٢٥] المرجع السابق، ج١، ص٣٠٥. شاع استخدام تفسير الرؤيا بالضد عند علماء تعبير الرؤيا الإسلامية، انظر:
- ابن سيرين، محمد. **تعبير الرؤيا الصغير**، تونس: مطبعة المنار، د.ت، ص١٢٦.
- النابلسي، **تعطير الأنام في تعبير المنام**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٤٩.

[١٢٦] الكندي، **رسائل الكندي الفلسفية**، مرجع سابق، ج١، ص٣٠٦.

ت. موقف الكندي من النبوة وعلاقتها بالرؤيا:

ينظر الكندي إلى معارف الأنبياء بوصفها أسمى وأعلى درجة من معارف الفلاسفة والصوفية؛ فهي منحة إلهية يهبها الله لمن يشاء من عباده، وهو أعلم حيث يجعل رسالته. وينتهي الكندي من ذلك إلى القول بأن مصدر الوحي والرؤيا ليس واحداً، ولذلك فهولم يحاول إثبات النبوة عن طريق الرؤيا؛ لأن الإلهامات الخفية التي يصل إليها الأنبياء مصدرها الوحي الذي يخص الرسل والأنبياء بلا حيلة أو اكتساب.[١٢٧]

٢. الفارابي:

ذهب الفارابي إلى أن الحلم يرجع إلى القوة المخيلة أو المتخيلة كما قال اليونان؛ إذ إن للمخيلة من القدرة ما يؤهلها للاحتفاظ بما يأتيها من صور، كما أن لها قدرة على الابتكار، الذي عن طريقه يمكنها أن تؤلف عن الأفكار والصور بطريقة جديدة لم تكن معهودة من قبل، فينتج عن ذلك الأحلام.[١٢٨]

ويربط الفارابي بين الرؤيا الصادقة والوحي؛ فالرؤيا الصادقة هي شعبة من شعب النبوة، تمتُّ إلى الوحي بصلة، وتتحد معه في النهاية، وإن اختلفت عنه في الوسيلة. وقد عقد الفارابي في كتابه "آراء أهل المدينة الفاضلة" فصلين متتالين في "سبب المنامات"، و"في الوحي ورؤية الملك."[١٢٩]

والنبوة عند الفارابي ترتبط بقوة المخيلة؛ فالأنبياء وحدهم هم الذين يحوزون أعلى درجات قوة المخيلة، وهم الذين وصلوا إلى هذه المرتبة العليا دون غيرهم من البشر؛ إذ تُسهم المخيلة –عندهم– إسهاماً فاعلاً فيما وصلوا إليه في حال اليقظة والنوم، وليس

---

[١٢٧] المرجع السابق، ج١، ص٣٧٢.

[١٢٨] يقصد بمصطلح "المخيلة" حديثاً "جميع العمليات العقلية التي تنشأ عند استحضار صورة ذهنية؛ سواء كان ذلك الاستحضار مطابقاً في مجموعه للتجارب الماضية أم لا". انظر:

- Runeo , *Dictionary of philosophy*, New York, 1942, P 216.

– الفارابي، **آراء أهل المدينة الفاضلة**، مرجع سابق، ص٤٧.

[١٢٩] الفارابي، **آراء أهل المدينة الفاضلة**، مرجع سابق، ص٤٨.

الوحي شيئاً آخر سوى فيض من الله عن طريق العقل الفعال.[١٣٠] ويقرر الفارابي أن البشر ليسوا متساوين جميعاً في هذه المخيلة المبدعة الفياضة؛ لأن ثمة فئة من الناس تتصل بالعقل الفعال بوساطة المخيلة في النوم فقط، ومن هذا القبيل الأولياء.

ويحصر الفارابي بعد ذلك حقيقة النبوة في قوى ثلاث؛ الأولى: قوة التأثير: وهي أن يكون في نفس النبي قوة على أن تؤثّر في العالم. والثانية: القوة العلمية، وينال بها العلم من غير تعليم. والثالثة: قوة خيالية: وهي قوة المخيلة في اليقظة والمنام.[١٣١]

غير أن المدقِّق -عموماً- في كلام الفارابي عن الوحي والنبوة، وتفسيره لها من الناحية العقلية والنفسية، يجده لا يتفق مع النصوص الدينية الثابتة؛ فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان ينزل إلى النبي ﷺ في صورة بعض البشر أو بعض الأعراب، وأنه كان يسمع له صلصلة مثل صلصلة الجرس إلى غير ذلك.

٣. ابن سينا:

ضمَّن ابن سينا معظم آرائه عن الأحلام والنوم في مؤلفات عديدة، أبرزها الفصل الثاني من المقالة الرابعة من "كتاب النفس". وقد تأثّر ابن سينا بآراء الفارابي في موضوع الأحلام والنبوة تأثّراً كبيراً؛ إذ "اتخذ من الأحلام الصادقة أداة لإثبات النبوة، وذهب إلى القول بأن الأحداث؛ ماضيها وحاضرها ومستقبلها منقوشة في لوح محفوظ في العالم العلوي، وفي وسع بعض الناس الاتصال بهذا العالم عن طريق مخيلتهم القوية، فيقع لهم هذا أثناء نومهم، فإن أفرطت مخيلتهم في قوتها ظفروا بالاتصال أيقاظاً، وأولئك هم الأنبياء."[١٣٢]

وفيما يخصّ علاقة الرؤية الصادقة بالنبوة، حرّر ابن سينا رسالة مستقلة عن "إثبات النبوات" في كتابه الموسوم بـ"تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات،"[١٣٣] تضمّنت تفسير

[١٣٠] ربيع، **التراث النفسي عند علماء المسلمين**، مرجع سابق، ص٥١.
[١٣١] الفارابي، **آراء أهل المدينة الفاضلة**، مرجع سابق، ص٥٠.
[١٣٢] الطويل، **الأحلام**، مرجع سابق، ص١٣٠.
[١٣٣] ابن سينا، **تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات**، مرجع سابق، ص١٣، وما بعدها.

النبوة -وظواهر أخرى تُعَدّ من الخوارق، كالمعجزات والاطّلاع على الغيب وأصناف الكرامات- تفسيراً طبيعياً يتلاءم مع جملة مذهبه، كما حاول تأويل بعض النصوص الدينية على نحو يتفق مع نظريته الفلسفية. وحسب رأيه، فإن التجربة والبرهان يشهدان بأن النفس الإنسانية تستطيع الوقوف على المجهول في أثناء النوم، فليس ببعيد عنها أن تكشفه في أثناء اليقظة. يقول ابن سينا في ذلك: "والتجربة والقياس متطابقان على أن للنفس الإنسانية أن تنال من الغيب نيلاً ما في حال المنام، فلا مانع من أن يقع مثل ذلك النيل في حال اليقظة."[١٣٤]

وتفسير ذلك -عند ابن سينا- أن هناك نوعاً من الأحلام لا ينشأ عن أحاسيس خارجة أو عفوية، وإنما ينشأ عن اتصال النفس بالملكوت الأعلى، أو بالعقل الفعّال، أو بأنفس الملائكة. ويحدث ذلك في أثناء النوم وفي بعض حالات اليقظة، فتتلقى النفس من هناك الوحي والإلهام، ويكون لها بمثابة الإنذار والإخبار بما سيكون.[١٣٥] فإذا حدث ذلك في أثناء النوم فهو رؤيا، وإذا حدث في أثناء اليقظة فهو وحي، وتلك وظيفة خاصة من وظائف القوة المتخيلة يدنو منها الإنسان من مرتبة النبوة، ولذلك يسمي ابن سينا هذه الوظيفة "النبوة الخاصة بالقوة المخيلة."[١٣٦]

٤. ابن رشد:

خصّص ابن رشد المقالة الثامنة من كتابه "الحاس والمحسوس"[١٣٧] لمعالجة مسائل النوم واليقظة، ومسائل الرؤى والأحلام. ويبدأ ابن رشد حديثه عن الرؤى والأحلام بقوله: "إن هذه الإدراكات منها ما يسمى "رؤيا" ومنها ما يسمى "كهانة" ومنها ما يسمى "وحياً"."[١٣٨]

---

[١٣٤] ابن سينا، أبو علي. **الإشارات والتنبيهات**، تحقيق: سليمان دنيا، القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٥٨م، ج٣، ص٢٤١-٢٤٢.

[١٣٥] انظر:

- ابن سينا. **الشفاء**، طبعة طهران، د.ت، ج١، ص٣٣٦-٣٣٨.
- ابن سينا، **الإشارات والتنبيهات**، مرجع سابق، ج٢، ص١٣٥-١٣٧.

[١٣٦] ابن سينا، **الشفاء**، مرجع سابق، ص٢٤٦.

[١٣٧] ابن رشد، **الحاس والمحسوس**، مرجع سابق، ص٢٠٨وما بعدها.

[١٣٨] المرجع السابق، ص٢٢١.

وتنقسم الرؤيا عند ابن رشد إلى قسمين: صادقة وكاذبة، وهي في الحالتين تنتسب إلى "قوة المخيلة". ويرى أن الرؤيا الصادقة تدل على معرفة وجود شيء مجهول بالنسبة لنا، ويحدث عنه تصديق في المستقبل. وينسب ابن رشد هذا النوع من الرؤيا إلى نوع من العطاء الشريف وإلى أمر إلهي كريم وعناية تامة للإنسان الذي يحصل له هذا النوع من المعرفة.[١٣٩]

ويرى ابن رشد أن الرؤيا الصادقة هي جزء من النبوة، وأنها من الأمور التي تصيب الإنسان، وتحفزه على الاستعداد والتأهب للمستقبل؛ سواء كان هذا التأهب على هيئة بشير أو هيئة نذير، ويدلّل على ذلك بالرؤيا التي تحدثت عنها سورة يوسف، فيقول: "وأما لما كانت الرؤيا فلموضع العناية التامة بالإنسان، وذلك أن الإنسان خاض المعرفة والإدراك في القوة العقلية الفكرية التي بها يدرك حدوث الأمور النافعة والضارة في المستقبل؛ ليستعد للشيء، ويتأهب له، ويبشر أيضاً وفود الخير ويعلم وقوعه، إذا مرّت هذه القوة بهذه الآلة الشرعية والإدراك الروحاني. ولذلك قيل إنه جرى كذا وكذا من النبوة، وذلك بيّن في الرؤيا التي رآها الملك، وسأل عنها يوسف عليه السلام، فإنه عندما عبّرها يوسف عليه السلام لهم، أشار عليهم لما دلّت عليه الرؤيا من الحذر بأن يذروا في السنين الخصبة الحبَّ في سنبله لئلا يفسد، ويبقى إلى وقت السنين الجدبة."[١٤٠]

أمّا فيما يخصّ الرؤيا الكاذبة فيرى ابن رشد أنها تحدث بسبب المتشوقات الطبيعية التي للنفس؛ "فإن شأن النفس البهيمية إذا اشتاقت شيئاً، أن تحاكي لها النفس المتخيلة صورة ذلك الشيء المتشوق على الحالة التي تشوقه، وتحصر لها صورة ذلك الشيء، ولذلك يرى العطشان أنه يشرب ماء."[١٤١]

خامساً: موقف الصوفية من الرؤى والأحلام

تأثّر متصوفة الإسلام في كلامهم عن الرؤى والأحلام بروافد خارجية، أهمها مذهب الرواقية، والأفلاطونية المحدثة؛ فحوّروا في بعض هذه المذاهب، ونفثوا فيها روحاً إسلامياً

[١٣٩] المرجع السابق، ص٢٢٤.
[١٤٠] المرجع السابق، ص٢٢٨.
[١٤١] المرجع السابق، ص٢٣٢.

صرفاً، كاد يفقدها ملامحها الأولى، ويقطع اتصالها بأصلها. وقد قدّم المتصوفة – في هذا المجال – إسهاماً غير ضئيل من الناحية النفسية، إلاّ أنهم أسرفوا في إعطاء الحلم طابعاً دينياً، ولم يكتفوا باللجوء إلى ما ورد في القرآن من تفسير للأحلام، بل ذهبوا إلى إضفاء القداسة على حلم الصوفي، فشدّدوا على دور الرؤيا، وخلعوا عليها طابعاً سحرياً، وسخّروها في خدمة القيم الصوفية. وفي محاولتهم تقريب الصوفي (الولي) من النبي، ألصقوا الرؤيا بالنبوة وجعلوها صنواً لها.

١. الإمام أبو حامد الغزالي:

أ. الرؤيا الصادقة:

يذهب الغزالي إلى القول بأن الطاقة التي يطل منها المرء على عالم الملكوت، قد تنفتح إبّان النوم في رؤيا صادقة، وقد تنفتح في أثناء اليقظة لمن أخلص الجهاد والرياضة، وتجرّد من الشهوات وقبيح الأخلاق.[١٤٢] ويمضي الغزالي بعد ذلك في بيان طريقة انفتاح الرؤيا لدى الصوفي، فيقول إن ذلك يكون "باعتزال الناس وتعطيل طرق الحواس (المعرفة الحسية) وفتح عين الباطن وسمعه، عندئذ تنمحي الظلمة بحروفها، ويبقى معناها مجرداً في قلبه، ويتعرض لنفحات رحمة الله، وتنفتح الطاقة، ويبصر في اليقظة ما يبصره في النوم، وينكشف له ملكوت السموات والأرض."[١٤٣]

ويرى الغزالي أن الوحي لا يختلف عن الإلهام بطريق الرؤيا، لأن كلاًّ منهما ينبع من القلب بغير صلة أو تعلم أو اجتهاد من العبد، وهما يمثّلان تعقلات في النفس على شكل نفث في الروح بوساطة الملائكة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولًا﴾ (الشورى: ٥١). ولكن الفوارق بينهما تكمن في شرف أحدهما على الآخر، من حيث كيفية حصول الإلهام في نفس العبد، وكذلك دوام أحدهما (الإلهام) دون الآخر (الوحي). ويطلق على العلم الذي يحصل بطريق الوحي اسم العلم

[١٤٢] الطويل، توفيق. **الشعراني إمام التصوف في عصره**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٥م، ص٧ وما بعدها.
[١٤٣] الغزالي، أبو حامد. **كيمياء السعادة**، القاهرة: المطبعة المحمودية التجارية، د.ت، ص١٧.

الكلي، وهو من أشرف العلوم لكونه يصدر عن العقل الكلي، وهو أشرف من النفس الكلية.[١٤٤]

ب. تعبير الرؤيا عند الغزالي:

كرّر الغزالي جملة التفسيرات السيرينية المتعلقة بموضوع "تعبير الرؤيا"، بل وردّد معظمها في كتابه "جواهر القرآن". وقد كان إعجاب الغزالي بابن سيرين في هذا الجانب ملحوظاً، وتمثّل ذلك في إيراه بعض تفسيراته، مثل: "كان أحدهم رأى كأنه يصب الزيت في الزيتون، فقال ابن سيرين له: إن كان تحتك جارية فهي أمك قد سبيت وبيعت واشتريتها أنت ولا تعرف... فكان كذلك."[١٤٥] وهكذا، تبين للغزالي اتجاهات ابن سيرين، ما جعله يهتم بالرموز التي ينبني عليها تأويل القرآن والحديث والرؤى، فالرموز صلة الوصل بين عالمي الغيب والشهادة.[١٤٦]

ثمة من يرى أن الغزالي قد تأثّر بفلاسفة اليونان، فقد ذهب كلّ من: مارجريت سميث،[١٤٧] وفينسنك،[١٤٨] وفضل رحمن[١٤٩] إلى القول بتأثّر الغزالي بآراء برقلس، وشيشرون، وبلوتارخ. ويؤكد عبد الرحمن بدوي هذا الاتجاه عند الغزالي بقوله: "إن الغزالي تحول من الفلسفة الأرسطية إلى فلسفة أفلوطين والأفلاطونية المحدثة وظل مخلصاً لها حتى آخر عمره."[١٥٠]

---

[١٤٤] الغزالي، أبو حامد. **المنقذ من الضلال**، تحقيق: عبد الحليم محمود، القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢م، ص١١٥. ويلاحظ هنا أيضاً تأثّر الغزالي بآراء الفلاسفة وتبنّيه لنظرية الفيض، وهي تبدو واضحة في كتابه "مشكاة الأنوار"، و"الرسالة اللدنية"، وبذا، فإن الغزالي في نظريته المتعلقة بالرؤى والأحلام كان متفلسفاً أفلاطونياً.

[١٤٥] الغزالي، أبو حامد. **جواهر القرآن**، مصر: مكتبة الخانجي، ١٢٢٩هـ، ص٢٩.

[١٤٦] المرجع السابق، ص٣٥.

147 Smith (M): ALGhazali (the mytic , London 1944 p.p 105-114.

148 Wensinke (A.J): la pensee de AL Ghazali 1940 p.p61-62.

[١٤٩] بدوي، عبد الرحمن. **الأفلاطونية المحدثة عند العرب**، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٥م، ص٢٨.

[١٥٠] تقوم الفلسفة الإشراقية في مضمونها على المزج بين نظرية الفيض الأفلاطونية، ونظام الملائكة التواراثي الزرداشتي، وذلك في محاولة لترتيب الوجود في صورة فيض متدرّج بين عالمي النور (الألوهية) والظلمة (المادة). انظر تفاصيل المذهب الإشراقي في:

- أبو ريان، محمد علي. **أصول الفلسفة الإشراقية**، الإسكندرية: نشأة المعارف، ١٩٦٥م، ص٦٨١.
- كوربان، هنري. **تاريخ الفلسفة الإشراقية**، بيروت: دار المعرفة، ١٩٦٦م، ص٣١٤.

٢. موقف التصوف الإشراقي[١٥١] من الرؤيا (شهاب الدين السهروردي):

يذهب السهروردي -في تفسيره مسألة الرؤيا- إلى تقرير إمكان اتصال أرواحنا في النوم بالنفوس السماوية وتلقي الغيب عنها؛[١٥٢] والأصل في ذلك أن النفوس الناطقة هي جوهر الملكوت في عالم المجردات والمعقولات، وإنما يشغلها عن عالمها هذا، القوى البدنية ومشاغلها. فإذا قويت النفس بالفضائل الروحانية، وضعف سلطان القوى البدنية؛ بتقليل الطعام وتكثير السهر، تتخلص أحياناً إلى عالم القدس، وتتصل بأبيها المقدس، وتتلقى فيه المعارف، وتتصل بالنفوس الفلكية العالمة بحركاتها، وبلوازم حركاتها، وتتلقى منها المغيبات في نومها ويقظتها كمرآة تنتقش بمقابلة ذي نفس.[١٥٣]

وعليه، فإذا تطهرنا من شواغل البدن وتأملنا كبرياء الحق والنور الفائض من لدنه، وجدنا في أنفسنا "بروقاً ذات بريق، وشروقاً ذات تشريق، وشاهدنا أنواراً وقضينا أوطاراً."[١٥٤] كما يفضي ذلك إلى تمكن الإنسان من الاتحاد بروح القدس الذي يسميه الفلاسفة العقل الفعّال.

٣. موقف أصحاب وحدة الوجود من الرؤيا (محي الدين بن عربي):

يذهب أصحاب وحدة الوجود —الذين يمثّلون مذهباً فلسفياً صوفياً- إلى تأكيد أن الوجود في جوهره واحد، وأن الوجود الحقيقي هو الله؛ فالله هو عين الموجودات، ولذلك فإن حفظه الأشياء هو حفظ لصورته، حتى لا تكون تلك الأشياء غير صورته؛ إذ العالم صورته وهو الكون كله.[١٥٥] وقد سار على هذا النهج ابن عربي الذي آمن بالرؤيا الصادقة إيماناً راسخاً، وعدّها من المبشرات.[١٥٦]

---

[١٥١] أبو ريان، **أصول الفلسفة الإشراقية**، مرجع سابق، ص٦٩. وإلى مثل هذا القول يذهب الغزالي وإخوان الصفا أيضاً.

[١٥٢] السهروردي، يحيى بن حبش (المقتول). **هياكل النور**، تحقيق محمد علي أبو ريان، القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٥هـ، ص٤٤.

[١٥٣] المرجع السابق، ص٣٢.

[١٥٤] المرجع السابق، ص٢٨. ويلاحظ أن الغزالي لم يقل بمثل هذا الاتحاد الصوفي، وقرّر أن الإلهام هو الذي يفيض عنه العلم الذي يصدر عن الله من غير واسطة.

[١٥٥] ابن عربي، محي الدين. **شرح رسالة روح القدس**، جمع: محمود الغراب، دمشق: دار صادر، ١٩٨٠م، ص٩.

[١٥٦] ابن عربي، محي الدين. **فصوص الحكم**، تحقيق أبو العلا عفيفي، دمشق وبيروت، ١٩٤٦م، ص٢٨ وما بعدها.

أ. الرؤيا والكشف الصوفي في مذهب وحدة الوجود:

يذهب ابن عربي إلى تقسيم الكشف الصوفي إلى صوري ومعنوي؛ "والأول يقع في عالم المثال من طريق الحواس الخمس عن طريق المشاهدة أو السماع كما وقع للنبي حين كان يسمع الوحي كلاماً أو كصلصلة الجرس، أو على سبيل الاستشفاف وهو التنسم بالنفحات الإلهية، والتنشق للفتوحات الربانية، أو عن طريق الذوق. وأما الكشف المعنوي فقد يتصل بالأمور الدنيوية فتسمى رهبانية، لاطّلاع أهله على الحوادث الدنيوية بحسب رياضتهم ومجاهدتهم."[١٥٧] ويعبِّر ابن خلدون عن حالة هذا الكشف الصوفي بقوله: "إن هذه المجاهدة والخلوة والذكر يتبع غالباً كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله، ليس لصاحب الحس إدراك شيء منها. والروح من تلك العوالم."[١٥٨]

وهذا الاطلاع على هذه العوالم، وهذا الإدراك الرباني عند ابن عربي، يأتي من طرائق عدّة، أهمها الرؤيا. وعليه،"فإن المرء إذا ارتقى في حال المعرفة، أدرك أنه نائم في حال اليقظة المعهودة، وأن الأمر الذي هو منه، إنما هو رؤيا إيماناً وكشفاً."[١٥٩]

ب. صلة الرؤيا بالولاية:

يرى أصحاب وحدة الوجود أن الرؤيا هي نوع من الكرامات التي تقع للأولياء، "والنفس التي تقوى على إدراكها، متى عظمت وترقت في مجال الروحانيات، أضحى صاحبها ولياً، وهذا نادر إلا أنه يقع لأهل الطريق."[١٦٠] وهو لا يشمل الناس جميعاً؛ فإنهم يعجزون عن احتمال ملك الإلهام الذي يهبط على الأولياء يقظة، ويهبط على سائر البشر نياماً، وإن جرت العادة – فيما يرى بعضهم – أن يسمى وحي الإلهام رؤيا إنْ وقع في أثناء النوم، وتخيلاً إن جاء إبان اليقظة.[١٦١] وبذلك ترتفع الرؤيا إلى مرتبة الولاية، وبهذا تصبح وحياً لهم كما كانت وحياً للأنبياء.[١٦٢]

[١٥٧] ابن عربي، محي الدين. **الفتوحات المكية**، بيروت: دار صادر، د.ت، ج٢، ص٤٩٨.
[١٥٨] ابن خلدون، عبد الرحمن. **المقدمة**، مرجع سابق، ص٣٢٩.
[١٥٩] ابن عربي، **الفتوحات المكية**، مرجع السابق، ج٢، ص٤٩٩.
[١٦٠] المرجع السابق، ج٢، ص٤٩٤.
[١٦١] الشعراني، عبد الوهاب بن أحمد. **اليواقيت والجواهر**، القاهرة: طبعة الحلبي، ١٩٥٩م، ص٧٤٢.
[١٦٢] انظر تفصيل ذلك في:

خاتمة:

نخلص مما سبق إلى أنَّ موضوع الرؤى والأحلام وصلتها بالنبوة، هو من الموضوعات التي احتلت جانباً كبيراً من اهتمام مفكري الإسلام على اختلاف اتجاهاتهم. وقد تنوعت مصادر هذا الموضوع؛ فمنها ما اتصل بتراث الشرق القديم بما يحويه من حضارات وديانات مختلفة، ومنها ما اتصل بتراث اليونان والرومان الذي تميّز بالنظر العقلي، وربط الرؤى والأحلام بأحوال النفس البشرية وقواها المختلفة. وقد انحدر مضمون هذه المصادر إلى المسلمين الذين لم يكتفوا بالنقل فحسب، وإنما أخذوا منه ما يساير عقائدهم، وما يتناغم مع طبيعة تفكيرهم، وانصرفوا عمّا يخالف تعاليم دينهم الحنيف.

وقد تباينت ردود أفعال المسلمين تجاه ما ورد من هذه المصادر التراثية في الرؤى والأحلام؛ إذ وقف منه المتكلمون موقف الحذر، وحاولوا أن يشيدوا نظرية مستقلة مستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، تقوم في أساسها على اتخاذ الرؤيا الصادقة دليلاً يؤكد صدق النبوة. أمّا فلاسفة الإسلام فقد انتفعوا (في بحث الرؤيا عقلياً) بتراث اليونان والرومان، ولا سيّما كتابات أرسطو، إلاّ أنهم أضافوا إليه أدلة من إبداع تفكيرهم ووحي دينهم، واستطاعوا بهذا أن يربطوا بين الرؤيا الصادقة والنبوة من نواح متعددة. وقد جاراهم المتصوفة في هذا الأمر؛ فنهلوا من مذهبي الرواقية والأفلاطونية المحدثة ونحوهما، وإن كانوا قد حوّروا في بعض هذه المذاهب، وبثّوا فيها روحاً إسلامية كادت تفقدها ملامحها الأولى، وتقطع اتصالها بأصلها. وقد ظهر ذلك واضحاً جلياً –كما مرّ بنا – في مذاهب التصوف السني والإشراقي، واعتقاد أصحاب نظرية وحدة الوجود.

إن ثمة حاجة ماسة إلى استثمار ما دار في الفكر الإسلامي من محاورات حول هذه القضية؛ إذ إن ما يُعرض في الفضائيات من برامج تعالج موضوع الأحلام وما يتصل بها من محاولة تشكيل الشخصية، ضمن مخطط قد يبدو ممنهجاً لتجهيل النشء، ومحاولة

- ابن عربي، **الفتوحات المكية**، مرجع سابق، ج٢، ص٢٥٦، ٢٥٧.

تشويه التراث الإسلامي في التعامل مع قضايا تفسير الأحلام، يفرض على المؤسسات البحثية والأكاديمية القيام بمهمة تصحيح الرؤى وكشف زيف كهنة الفضائيات وعرّافيها، الذين يتكئون زوراً على أحاديث العلماء، وقطع أفكارهم وعباراتهم عن سياقاتها الزمانية والمكانية والموضوعية. كما أن ثمة حاجة للتأسيس العلمي لبحث علاقة الرؤى بالنبوات، واستقراء الدراسات الثقافية والفكرية التي تصدت لهذا الموضوع، ومحاولة تصنيف هذه الدراسات، و إبراز مكانتها في التفكير الإسلامي.